





وادى الفوضى

(رواية)

تأليف: فريدريش دورينمات
ترجمة وتقديم: يسرى خميس





895

5.5 x 7.75

المشروع القومى للترجمة

وادى الفوضى

رواية

تأليف

فريدريش دورينمات

ترجمة وتقديم

يسرى خميس



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٨٩٥
- وادى الفوضى (رواية)
- فريدريش دورينمات
- يسرى خميس
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة رواية:
Durcheinandertal
Von
Friedrich Dürrenmatt
Copyright © 1989 by Diogenes Verlag AG Zürich
All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة.
شارع الجبلاية بالأوبرا ــ الجزيرة ــ القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤
EL Gabalaya st. Opera House. El Gezira, Cairo
TEL: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

مقدمة المترجم

قراءة ذاتية جدا لوادى الفوضى

ليس نقدًا بالمعنى الأكاديمى، أى أنها ليست دراسة تحليلية وفق مناهج البحث الأدبى المختلفة، فالنقد الأدبى يحتاج لأدوات متعددة، أولها الدراسة المنهجية وليس آخرها المتابعة لما يحدث فى العالم من تيارات نقدية متعددة (هذا لا يعنى تطبيقها بالضرورة) واستيعاب ما بين الأول والآخر من تطور تاريخى وأدبى وفنى، بالإضافة إلى الحساسية الخاصة - بشرط توافرها - التى تفتح للناقد أبوابًا كثيرة مغلقة، أعنى أن النقد بقدر ما هو حرفة، بقدر ما هو قدرات خاصة تبتعد كثيرًا عما هو حرفة وتقترب كثيرًا من حدود الإبداع والإضافة. وأنا لا يمكننى ادعاء أننى أمتلك أدواته، كما أننى لست متابعا كما ينبغى للتحولات النقدية السريعة فى العقود الأخيرة، من بنيوية إلى ما بعد بنيوية إلى تفكيكية مرورًا بالتناص والنظريات السردوية المثيرة بتفاصيلها وتداخلاتها وتخارجاتها وتخريجاتها، التى لا تخلو أحيانا من ادعاء فكه وإشتقاقات أجدها طريفة.

فالنص الأدبى لا يمكن التحاور معه فى الفضاء! أى فى المطلق، منعزلا عن الحياة، والمقصود بالحياة هنا = الإنسان فى المكان/ الزمان، أى الانتماء لجماعة بشرية معينة لها خصوصيتها الثقافية، تعيش فى مكان جغرافى محدد، فى مرحلة تاريخية محددة بشروطها. أما أن يناقش النص الأدبى لذاته وبذاته ومن ذاته كنشاط فى اللغة، خارج سياقه التاريخى الثقافى - خارج الحياة - فهذا شىء يهم ويهتم

به بعض النقاد الأكاديميين المتحمسين من منظورهم أحادى البعد.

من أجل كل ما تقدم ولأسباب أخرى، لا أعتبر ما أكتبه فى هذا التقديم نقدًا، بل قراءة ذاتية جدا لشاعر عربى عاش نصف القرن العشرين وبدايات الحادى والعشرين يراقب ضمن ما يراقب ما تفعله الرأسمالية العالمية فى تاريخ الإنسان، هى محاولة لاكتشاف العلاقات والرموز والدلالات الممكنة فى عمل أدبى لكاتب يشغلنى عالمه بشكل خاص فى السنوات الأخيرة. إنها قراءة لنص أدهشنى وأمتعنى وأضاء لى أشياء، فتحمست لنقله لقراء العربية، محاولة للولوج فى عالم دورينمات المحيط الشامل الكاشف المعرى الفاضح الساخر المسخر الهازئ المهزئ المرح المقهقة، محاولة يمكن اعتبارها مدخلاً لقراءات أخرى متخصصة.

فريدريش دورينمات (١٩٢١ – ١٩٩٠): يعرف بالمنطقة العربية فى الأساس ككاتب مسرحى كبير من أهم كتاب المسرح فى القرن العشرين، فمنذ أن تعرف عليه العرب، وفتح لنا أستاذنا الكبير عبد الرحمن بدوى عام ١٩٦٣ الباب/البوابة، بترجمة مسرحية "علماء الطبيعة" ترجمت أغلب أعماله المسرحية الثمانية عشر إلى العربية، بل وعرض الكثير منها على خشبات المسارح العربية باستجابة ملفتة. ومثل هذا العدد من التراجم، لم يحظ به فى بلاد العرب سوى: وليام شيكسبير، وبرتولت بريخت، ثم فريدريش دورينمات. وربما يمكن إرجاع ذلك إلى اقتراب عالم دورينمات المسرحى من الوجدان العربى والمزاج المصرى بشكل خاص، القادر على السخرية من المفارقات والتناقضات فى القضايا الجادة التى تهمه.

والمتتبع لكتابات دورينمات، يجد بداياتها فى الدراما، حيث كتب أولى مسرحياته

(كل شىء مكتوب ١٩٤٧/٤٦)، (الأعمى ١٩٤٨/٤٧)، (رومولوس العظيم ١٩٤٩/٤٨) فى نفس المرحلة التى اهتم فيها بكتابة الرواية(القاضى والجلاد ١٩٥٠) فى خط مواز مع إبداعاته الدرامية المسرحية والإذاعية حتى آخر حياته، فقد كان يقول أن التنقل بين كتابة الدراما والرواية بالنسبة له، مثل الشهيق والزفير، بالإضافة إلى كتابة الشعر والدراسات النقدية فى المسرح والفلسفة.

لكنه ليس معروفًا فى منطقتنا العربية ككاتب روائى، فلم تترجم له سوى روايتين هما رواية (الوعد - ١٩٦٣) و(القاضى والجلاد - ١٩٦٨) قام بترجمتهما أحمد إبراهيم الأرغلى، هذا بالإضافة إلى العديد من القصص القصيرة، التى كان يعيد كتابة بعضها فى أكثر من شكل فنى آخر، مثل قصة (العطل Die Panne) التى أعاد كتابتها كدراما إذاعية ثم انتهى بها الحال كمسرحية، أو (هرقل فى زريبة أوجياس Herkules im Stall vom Augias) التى كتبها كدراما إذاعية ثم أعاد كتابتها بعد سنوات كعمل مسرحى.

مثال مثير آخر ذكره الكاتب فى هذا المجال: "كنت أخطط لأن تكون (زيارة السيدة العجوز Der Besuch der alten Dame) رواية، لكن الرواية تحتاج لوقت طويل لكتابتها، ولأننى كنت مديونًا آنذاك ومحتاجًا للنقود بشدة، كتبتها مسرحية، والمثير أنها درَّت على مبلغًا كبيرًا من المال لم أكن أتوقعه، فقد عرضت فى بلدان كثيرة، لقد كانت تلك المسرحية هى السبب فى ثرائى، أو فلنقل، كانت بداية

ثرائى، فقد أدت إلى تحول هام فى حياتى. يجب أن يكون عندك الكفاية من المال، حتى تكتب ما تود أن تكتبه ".

الأعمال الروائية لدورينمات:

١. المدينة (لم تكتمل)	1946	Die Stadt
٢. القاضي والجلاد	1950	Der Richter und sein Henker
٣. الاشتباه	1951	Der Verdacht
٤. يونانى يبحث عن يونانية	1955	Grieche sucht Griechin
٥. الوعد	1957	Das Versprechen
٦. المتقاعد (لم تكتمل)	1969	Der Pensionierte
٧. العدالة	1985	Justiz
٨. المهمة	1986	Der Auftrag
٩. وادى الفوضى	1989	Durcheinandertal

القصص القصيرة:

١. ليلة عيد الميلاد	1943	Weihnacht
٢. الجلاد	1943	Der Folterknecht
٣. السجق	1943	Die Wurst
٤. الابن	1943	Der Sohn
٥. العجوز	1945	Der Alte
٦. صورة سيزيف	1945	Das Bild des Sisyphos

Der Theaterdirektor	1945	٧. مدير المسرح
Die Falle	1947	٨. الفخ
Pilatus	1947	٩. بيلاتوس
Der Hund	1951	١٠. الكلب
Der Tunnel	1952	١١. النفق
Der Alte	1954	١٢. العجوز
Die Panne	1956	١٣. العطل
Mister X macht Ferien	1957	١٤. عطلة مستر اكس
Der Sturz	1971	١٥. السقطة
Smithy	1976	١٦. سميثى
Das Sterben der Pythia	1976	١٧. موت بيثيا
Abu Chanifa und Anan Ben David	1976	١٨. أبو حنيفة وعنان بن داود

وادى الفوضى

بينما يرى بعض النقاد أن رواية (وادى الفوضى) رواية ينقصها البناء المتماسك والمفهوم الواضح حيث يقول عنها جيرهارد كناب Gerhard Knapp أنها كومة مفككة تحتاج للكثير من الربط بين أماكن الأحداث وبين شخصيات الرواية، كما ينقصها التنظيم بشكل واضح، كما يرى جيرولف فريتش Gerolf Fritsch أنها رواية إنشائية باستثناء بعض الصفحات الأخيرة، يؤكد روستر هولتس

Rusterholz أن سوء الفهم هذا يرجع لعدم التعرف على بنية النص بشكل كاف ولعدم استيعاب هذا النوع من السرد، بينما يرى ستيفان جوتشى Stefan Goetschi أنها رواية تعتمد على الرمز الذى يطرح فى شكل فكرة مجردة تطمح إلى تفسير أحداث واقعية، ليعرض من خلالها فوضى العالم الذى نعيشه، فالترميز يعطى إمكانيات رحبة للتفسير على مستويات عدة، فى حين يقول الكاتب نفسه فريدريش دورينمات عن رواية وادى الفوضى أنها "رواية شديدة الأهمية، ربما أعتبرها أهم ما كتبت، وهى أكثر ما كتبت مرحًا"!

يرتبط النص بالتيمات الفلسفية والتيولوجية والإنسانية التى شغلت وأرقت دورينمات طوال حياته، وأعاد صياغتها فى أكثر من شكل، وفى أكثر من عمل، فى أشكال أدبية وفنية مختلفة، سواء فى شكل مسرحى أو روائى أو كتأملات نثرية. لقد أخذت تلك التيمات تتداخل وتتبلور وتتسع لتشمل العالم كله ودراما الإنسان داخله، وكان من الطبيعى عندما يصل إلى هذا الحد، أن يطرح علاقة الإنسان بالكون، بالرب، ويتعرض لطبيعة هذه العلاقة الشائكة، المتعددة الوجوه والتجليات والمواقف، ويصل بها إلى الحدود بين المعرفة والعقيدة (فالذى يعرف، يعرف أنه يعتقد فقط، والذى يعتقد، يعتقد أنه يعرف. دورينمات) لقد كان الفكر الدينى يضغط على دورينمات طوال حياته، كما صرح بذلك ذات مرة مؤكدًا أن كونه ابن قسيس قرية كونولفنجن Konolfingen بمقاطعة ايمينتال بسويسرا، التى ولد بها وعاش طفولته فيها، أحد الأسباب ولا شك.

انه يضع الكرة الأرضية، الكون، العالم، والحياة على مائدة التشريح، ويطرح على المستوى الفلسفى أعمق علاقة فى تاريخ الوجود البشرى (الرب، الإنسان) كمبحث معرفى تيولوجى تاريخى، يفككه فى تطوره ويشخص مكوناته وتناقضاته ويكتشف ديالكتيكه وتطوره فى الزمن وفى عمق الفكر الإنسانى، واصلاً فى تحليله لعتبات شديدة الإثارة. فعلى المستوى السردى، يكشف لنا أن هذا العالم لا تحزمه خطوط الطول والعرض الوهمية، بل تحزمه شبكات من العصابات والسفاحين والمجرمين والقتلة، لا يرون فى أنفسهم سوى أنهم رجال أعمال يمارسون طرقا غير تقليدية فقط، وأن المقر الرئيسى لهذه الشبكة – الشبكات – يستقر فى بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، وأن فروعها المتعددة تمتد وتنتشر فى أوربا، تحت مسمى مسيحى شديد البراءة: جمعية الأخلاق وأن الذى يديرها عن بعد ويتحكم فيها هو. الأب الكبير تلك الشخصية التى ظهرت أول الأمر كشخصية إنسانية ذات ملامح واقعية، تشرب اللبن من المغرفة فى أول سطور الرواية، ثم تتطور مع نمو الرواية، فتختفى ملامحها الإنسانية، لتصل فى النهاية لحالة من التجريد، الترميز الكامل، وتصير فكرة مجردة تتوازى وتقترب من الرب المسيطر. هذا الأب الكبير الذى هو دائمًا فى صف الأثرياء، الذين يمارسون بشغف حياة الفقراء كل صيف فى المنتجع على قمة الوادى، حتى يكسروا ملل الغنى الفاحش، ويستمتعوا بنعمة تعاسة الفقراء، ويتخلصوا من تعاسة نعمة الأثرياء يقودهم إلى الإيمان ويبرر لهم كل ما يفعلون ويفتح لهم أبواب الجنة قسيس قاتل (موسى ميلكر)، تزوج من ثلاث نساء ثريات قبيحات، قتلهن جميعًا، كل واحدة منهن بطريقة غريبة لا تخلو من

خيال وسخرية، فقد كان يحلم بـــالثراء، مقتنعًـــا أن المــــال هـــو رب العصر، وأن المدخل الحقيقى للثراء هو الجريمة. كان قـــادرًا علــــى الدمج بين تلك الازدواجية المرعبة: الدين والجريمة. وفى نفس الوقت الذى يقف فيه الأب الكبير دائمًا فى صف الأثرياء، لا يكلف نفسه أن يفتح ملايين الخطابات التى تــصله مليئـــة بالرجـــاءات والتوســـلات والتضرعات والأمنيات الصغيرة، بل إنه لا يرد عليها، ويـــأمر أحـــد مساعديه بإلقائها فى البحر، وعندما يمـــسك المـــساعد عـــن طريـــق الصدفة بأحد خطابات السيدة هونجربولر، المواظبة بإخلاص على أن تكتب إليه طلباتها البسيطة يوميًا منذ أن مــــات زوجهـــا، يمـــسكه لا ليقرأه، بل ليشعل به سيجار الأب الكبير. بل أكثر مـــن ذلـــك، فهـــو يعرف أن الكونت المزيف المزور فون كوكسن قد قام بتأجير المنتجع كمأوى لعتاة مجرمى العالم الذين يطاردهم مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية FBI ليختبئوا فيه بفصل الشتاء. وهكذا يـــربط دورينمـــات بشكل واضح بين الثراء والجريمة، فى إطار تفسير الفيلسوف كـــارل بارت Karl Barth لديالكتيك الفقر، الغنـــى "كعلاقـــة أساســـية تفقـــد طبيعتها عن طريق الجريمة، والذى يفصل فـــى تحليلـــه للـــديالكتيك التيولوجى، بين الإنسان والرب قدر الإمكان، مؤكدًا أن الــــرب هـــو الأصل الأساس اللانهائى، غيـــر القابـــل للتفـــسير، وأن الإنـــسان لا يستطيع فهمه، بل يعتمد فى ذلك على نعمـــة الـــرب ورحمتـــه، وأن التركيب بين الطرفين يتجسد فى شخصية المسيح. فكل فـــرد يكـــون لنفسه صورة معينة للرب، تختلف من فـــرد لآخـــر، فـــى محاولتـــه لشخصنة الرب، وهكذا يتحول لمطلق، كامـــل، مكتمـــل، لا نهـــائى. وعندما سُئل دورينمات، من يقصد بالأب الكبير؟ قال:

(أنا الأب الكبير نفسه، الذى ينفجر من الضحك بلا توقف على ما يحدث أمامى فى هذا العالم، وعلى ما يفعله البشر فى هذه الحياة. فقط عن طريق المرح، السخرية Humor من هذا العالم والضحك منه وعليه، يمكن للإنسان تحمل فوضى العالم ولامعناه، وأن يتقبل مصيره المحتوم بالموت فى النهاية. كما أنه أثناء الكتابة، يكون المرء دائما هو الأب الكبير، الذى يتحكم فى مصائر الشخصيات وفى الأحداث، ويحركهم كما يود كقطع الشطرنج).

وعلى الجانب الآخر أسفل الوادى، هناك جموع أهل قرية (وادى الفوضى) المهملة المنسية،التى تنتظر من الصيف للصيف، كى يتعيشوا من خدمة نزلاء المنتجع الأثرياء، وتأدية الأعمال المتواضعة المتدنية، كخدم غرف وشيالين وعمال مصاعد وسائقى سيارات أجرة وأعمال المطبخ وجمع القمامة، حتى هذا قد توقف بعد الفلسفة الجديدة التى حولت المنتجع إلى "بيت الفقر" كى يتطهر فيه الأثرياء بناء على نصيحة القس القاتل موسى ميلكر، والتى جعلتهم يخدمون أنفسهم بأنفسهم من أجل أن يستمتعوا بنعمة تعاسة الفقر. جموع البشر المضللة العاجزة المغلوبة على أمرها فى مواجهة درامية عنيفة لأثرياء العالم، فى مواجهة "المال" كقوة باطشة،كرب لهذا العصر، ليس كحالة المليارديرة كلارا تساخاناسيان فى مسرحية "زيارة السيدة العجوز" التى تشترى بمفردها أهل قرية جوللين وتفضح هشاشة القيم التى يتمسكون بها، لكنه هذه المرة "الرأسمال" الرأسمال العالمى المنظم الموجه المتشابك المترابط المرتبط بالجريمة والقتل كما يتجسد صارخًا فى انفصام شخصية موسى ميلكر، الذى يدعى للولايات المتحدة كى يحاضر الأرملات الفاحشات الثراء عن "تعاسة نعمة

الأغنياء ونعمة تعاسة الفقراء" قوة المال فى "زيارة السيدة العجوز" كانت تمثلها المليارديرة الوارثة كلارا تساخاناسيان وحدها كفرد، أما فى وادى الفوضى فهو يكشف لنا سيطرة الجماعة، العصابة، الشبكة، الطبقة الاجتماعية، الرأسمالية العالمية فى شكلها الجديد، الإمبريالية فى أعلى مراحلها. (كتبت الرواية عام ١٩٨٩، مع بدايات سقوط الاتحاد السوفيتى وصعود الامبريالية الأمريكية) وهكذا وقف حال أهل القرية وازدادوا فقرًا، فاضطروا إلى سرقة جرس الكنيسة وبيعه، وتعليق جرس المطافئ مكانه.

غريب جدا أمر كنائس دورينمات تلك التى دائمًا بلا ناقوس!! والذى دائمًا يسرقه الفقراء ليتعيشوا بثمنه، مثلما حدث مع أهل بلدة جوللين فى مسرحية "زيارة السيدة العجوز" ومثلما حدث هنا مع أهل بلدة وادى الفوضى. ودائمًا دائمًا يضعون مكانه ناقوس المطافئ. هذه الجزئية البسيطة، المحملة بدلالات شديدة التكثيف والأهمية، فهنا يطرح دور الكنيسة، الدين جانبًا، ويظهر عجز الكنيسة أو خفوت صوتها عن تنبيه الناس وإيقاظهم، كما أنه يكشف فقر الناس وعوزهم الشديد الذى يدفعهم لتجريد الرمز من قدسيته وسرقته وبيعه، فيدين التقسيم الطبقى للجماعة، كما يدين فى نفس الوقت قصور ممارسة الطقوس الدينية كبديل للحياة ومواجهة تعقدها، ثم يأتى ناقوس المطافئ كبديل هازئ، مما يوحى بوجود حريق ما، أوعلى الأقل بتوقع حريق ما، كما حدث فى وادى الفوضى.

وعمدة البلدة، الذى لا حول له ولا قوة، والذى يتعيش من بيع لبن أبقاره لنزلاء المنتجع والمهمل لابنته (الزى) إهمالاً كامل،

والمهتم اهتمامًا زائدًا بكلبه مانى، فهو الوحيد القادر على التحاور معه، بعكس ابنته وزوجته من قبل أن تموت، والذى من خوفه عليه لم يبلغ عن اغتصاب ابنته، حتى لا يزج بكلبه فى التحقيق، حيث قام الكلب - دفاعًا عن الفتاة - بعض مؤخرة السفاح الذى اغتصبها. ومع ذلك فقد لفق له الكونت النصاب فون كوكسن قصة محكمة كاذبة تدعى بأن كلب العمدة قد قام بعض مؤخرة حارس المنتجع، وهكذا رغم لهاث العمدة من مسئول لآخر، قررت الشرطة قتل كلب العمدة، وهنا يدخلنا دورينمات فى مشهدين يصل بهما إلى أعلى درجات السخرية والجروتيسك، مواجهة العمدة وكلبه لشرطى النقطة صديقه لوستنفايلر المكلف بقتل الكلب، وكيف استحال عليه ذلك، ثم مداهمة مجموعة من رجال الشرطة لمنزل العمدة ومحاولتهم اغتصاب ابنته الزى، بعد أن أفرطوا فى الشراب، وتباروا فى ممارسة لعبة الضغط للفوز بها، بناءً على اقتراحها، وانهيارهم جميعًا وانصرافهم فاشلين ناسين مهمتهم الأساسية التى جاءوا من أجلها: قتل الكلب، مما جعل مسئول الحكومة يأمر بدفع فيلق كامل من جيش الوطن يتكون من ثلاث كتائب، لمحاصرة القرية بالدبابات وإرهاب أهل البلدة، من أجل قتل الكلب. ويقتل الكلب، الكلب المزيف، التمثال الخشبى الذى قد صنعه له عمدة البلدة بهدف تخليده. ويقابل العمدة أحد نواب مجلس الشيوخ ويحكى له القصة كلها ويفضح له النائب حقيقة أن الشرطة ورجال القضاء وجميع الأجهزة الحكومية على علم بما يدور فى المنتجع صيفًا وشتاءً، وأن أجهزة الدولة ذات العلاقة، متورطة ومتواطئة ومندمجة داخل الشبكة، الشبكات الرأسمالية.

والرواية كآخر أعمال دورينمات الأدبية، تضم تراكمات خبـــرة سنوات من الحياة والإبداع المستمر المتصل الذى لم يهدأ ولم يتوقف، وحياة فكرية ثرية عريضة عميقة، وتأمل دءوب مستمر، مما جعلهـــا كأى عمل أدبى كبير،تحتوى على طبقات متعددة من مستويات الرؤية والطرح والتداخل والتقاطع والتركيب، وهكذا تتداخل أحـــداثها فـــى بعضها البعض بشكل يبدو متناثرًا، غير مترابط، لكنها تسرد بقصدية تبدو عفوية، وتنمو وتتطور كبنية درامية محكمة. بنية بهـــذا الـــشكل المركب تزيد من صعوبة إدراك النص إدراكًا كاملاً والإحاطـــة بـــه بشكل شامل،مما يتسق مع رؤية المؤلف، التى تؤكد استحالة الإحاطة بالحياة أو بالعالم، كما أنها فى نفس الوقت تزيد من مسئولية القـــارئ، حيث تكون مهمته اكتشاف الحدود والعلاقات بـــين الجـــاد والمـــازح والساخر داخل النص وطرح الاحتمالات المتعددة. فهى تضع القارئ فى فضاء مفتوح على الشك والاحتمالات وعدم اليقين، حتى بالنـــسبة للشخصية المحورية (الأب الكبير) الذى لم يره أحـــد، والـــذى يـــرى أحيانًا بشكل غير متوقع، والخط الواصل المضفر بينه كمحرك لعـــالم الجريمة وبين الرب عند القس المجرم، كما أن أغلب ما يقوله مجـــرد فرضيات، احتمالات لا يمكن التأكد منهـــا، كـــذلك مكتـــب محامـــاة رافائيل، رافائيل، رافائيل، هل هم شخص واحد أم ثلاثـــة أشـــخاص؟ هل هى مروحية واحدة التى جاء فيها الأب الكبير ورجاله للقاء يرميا بليال ورجاله؟ أم أكثر من مروحية؟ ثم انعكاس الشخوص على الجليد وتداخلها. إنه يلقى بالقارئ فى الشك بدلاً من اليقـــين، يفـــتح أبـــواب للتفكير، وللأسئلة، وللاحتمالات ويحمل القارئ، الإنـــسان المـــسئولية عن كل شىء، وعليه وحده تقع مسئولية أن يجد للعالم سببًا وللحيـــاة

معنى، وكما يقول جوتشى، فإن الرب والإنسان يقفا في الرواية بجوار بعضهما، دون أن يفهم أى منهما الآخر. فالإنسان يرى العالم من وجهة نظره الذاتية، التى هى بالكاد يمكنها أن تدرك جزءًا صغيرًا من الكل. وعليه، يعيش الحياة ككارثة لم يتوقعها، وعليه أن يكافح من أجل أن يتحملها حتى النهاية.

ورواية (وادى الفوضى) تتأرجح باستمرار على الحدود بين الواقع والمتخيل، تدخل وتخرج فى هذه المساحات الشاسعة المفتوحة بين الواقعى والمتخيل، حتى تصل به إلى الأسطورى، السوريالى، فى إطار فلسفة (كما لو...Als –ob) للفيلسوف هانس فايهنجر Hans vaihinger التى تؤكد ضرورة التخيل لتفسير المعرفة كما يقول جوتشى. فالأمكنة الأسطورية التى اختارها وتخيلها المؤلف لبعض الأحداث، مثل اختيار أقصى أقاصى القطب الجنوبى ليتم فيه هذا اللقاء الأسطورى بين محركى العالم (الأب الكبير ويرميا بليال) فى أبعد نقطة متجمدة من العالم، داخله وخارجه فى نفس الوقت، هنا على الجليد، فى ذلك الهواء الزجاجى الذى يضيع فيه ثقل الزمن ويرتبك، حيث تنعكس صور الأشياء ولا تتطابق. حيث يوجد الشىء وظله، الشىء وانعكاسه، الشىء ونقيضه، يشربا سويًا القهوة ويديرا مطاحن البن، كل يدير مطحنته، الواحد عكس الآخر، فتدور الكواكب والمجرات والكرة الأرضية، والعالم فى إطار لعبة متخيلة، شديدة السخف، لعبة المرايا والأضداد، تسيطر عليها روح المرح الساخر المليء بالعبث والمرارة والأسى. إنهما ينقسمان دون أن يتلامسا، كما لو أن كلا منهما يرقد على ناحية من المصيدة أو الشبكة، التى تدور

فيها وعليها، الكواكب والكواكب الضد، بسرعة تفوق سرعة الضوء، حيث تختفى كل قوانين الفيزياء. ولقد اهتم دورينمات فى السنوات الأخيرة بالفيزياء كمصدر من مصادر المعرفة، التى لم يتوقف عن نقدها، كذلك بالعلاقة بين الفيزيقا والميتافيزيقا، فقد كانت فيزياء نيوتن تتكون من قوانين واضحة، يمكن صياغتها فى معادلات رياضية، أما الفيزياء الحديثة فقد حدت من قوانين نيوتن، وشككت فى مدى صحتها، فقد قدمت النظرية النسبية مفهومًا جديدًا للمكان والزمان، مما غير من تصوراتنا عن نشوء الكون. كذلك الفيزياء الذرية قد عملت هى أيضا على الحد من صحة قوانين الفيزياء الميكانيكية، فبعد الوصول إلى "نظرية الكم" وتطبيقها على مستوى معارف الفيزياء الذرية، أصبح الحديث عن الدقة الرياضية للعمليات الفيزيائية غير ممكن، بل أصبح الحديث الآن ممكنًا فقط فى إطار (حساب الاحتمالات Wahrscheinlichkeitsrechnung).

والمكان الأسطورى الآخر فى فندق مجهول بجامايكا، حيث يُطلق ثعبانين ضخمين فيثيرا الرعب والفزع والفوضى فى المكان الذى تأتى فيه أكوام البريد المليئة بالطلبات

والرجاءات والتوسلات من ملايين البشر البسطاء، ليلقى بها فى حمام السباحة دون أدنى اهتمام. والمنتجع نفسه، وما يدور فيه من أحداث ولقاءات، ومطبخ المنتجع الذى تحول إلى غرفة عمليات لتزوير وجوه السفاحين،كلها أماكن أسطورية غير واقعية فى تخيلها.النص بناء هندسى محكم، تتحول مادة الواقع فيه من خلال رؤية الكاتب ووعيه التاريخى إلى بناء أسطورى، فوق الواقع وتحته،

منه واليه. بناء يقترب من الكاريكاتير، يقف على حافة الأسطورة، نص نفاذ لدرجة أنه يثقب الواقع ويخرج من الناحية الأخرى للكرة الأرضية. إن دورينمات يضخم المشاهد والمواقف لدرجة يقف فيها على حدود الجروتيسك، ويصنع من تخيله هذا بناء أسطوريًا غير واقعى، يبنى أسطورة حديثة، تجسد الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية السياسية بتفاصيل واقعية لا تخلو من تخيل مرح وترميز واضح وسخرية مفاجئة فى جدتها تدعو للقهقهة بالفعل، إنه يخلق أسطورة معاصرة بكل مفرداتها، تركيبة فوق الواقع بمسافة بمسافات، لكنها داخله بكل رموزه، إنه يجسد فضيحة الوضع الإنسانى فى نهاية القرن العشرين، ويؤكد أن الفوضى هى الملمح الأساسى لهذا العصر والعالم، ويحذرنا دورينمات بشدة من قراءة هذه الرواية بطريقة جادة متزمتة، فهى تتطلب من القارئ قراءة يغلب عليها المرح فى نفس الوقت فيقول: "إنها رواية خبيثة ماكرة فى مرحها، ويجب أن تقرأ ككوميديا وليس كتراجيديا".

إنه يحكى من موقع الراوى الذى يقف ويتفرج بحيادية، حيث تتدفق الجملة ولا تتوقف بإيقاع تيار جارف متماسك متداخل كالحياة نفسها. وكثيرًا ما يتبع الكاتب فى سرده أسلوبًا يقترب من اللقطة السينمائية، فى سياق أشبه بأسلوب التقطيع السينمائى، حيث تكون الصورة البصرية فى مقدمة المشهد، مما يضطره أن يتغاضى عن التنقيط وتقسيم الجمل، حتى لا يشتت تدفق الصور المتعاقبة، وكما يقول الكاتب نفسه "الكتابة عندى لا تبدأ من اللغة، هى فكرة وبناء، وجهد للوصول لمفهوم معين، وهدم هذا المفهوم، إلى أن يتضح فى

شكل معين، صورة، فالصورة عندى لا تخضع للفكرة، بل الفكرة هى التى تخضع للصورة. الصورة (الخامة أو المادة) تحتاج لترشيح، وتشكيل، وإعادة تشكيل، ذلك يحدث بشكل مستمر، حتى أصل فى النهاية إلى مرحلة اللغة، واختيار اللغة المناسبة ". يتداخل ذلك لدرجة كبيرة مع كون دورينمات ممارسًا مهتمًا للرسم طوال حياته.

وفى إطار التداخل النصى Intertextualitaet، تبعًا لمنهج ريناته لاخمان Renate Lachmann فى تحليل النص، يرى جوتشى أن رواية (وادى الفوضى) تتداخل بدرجة شديدة مع أغلب أعمال دورينمات السابقة، فالعديد من الأماكن والملامح الأساسية لبعض الشخصيات تتسرب بنعومة داخل النص الأصلى، وتصير بمثابة جسور تربط النص الأصلى بالنصوص المرجعية الأخرى فى علاقات جديدة، كنوع من (الكولاج) الأدبى. لكن إلى أى حد وما هى العلاقة بين النص الأصلى والنصوص المرجعية من الناحية السيميولوجية؟

فبالإضافة لأعماله السابقة، يشكل الكتاب المقدس بعهديه: القديم والحديث، مع ديالكتيك كارل بارت التيولوجى (العلاقة بين الرب والإنسان)، ثم رؤية كيركيجارد فى عملية التوصيل غير المباشر، النصوص المرجعية الأساسية بالنسبة لدورينمات فى روايته (وادى الفوضى). وكما يقول كيركيجارد فإن المقولات التيولوجية تشترك مع المقولات الجمالية فى صفة أساسية هى: استحالة التوصيل المباشر. فمن المستحيل أن توصل الخبرة الذاتية لشخص بشكل مباشر، دون أن تموضع تلك الخبرة كمعرفة، الشيء الذى يعوق بدوره استقبال

الشخص للمعرفة بشكل ذاتي. فالمعرفة توجد في مجال التوتر بين الذاتي والموضوعي. وهكذا فإن الرب كنتيجة (خبرة) للتفكير الذاتي، يستحيل أن يكون موضوعا للمعرفة الموضوعية (كيركيجارد).

في نهاية الرواية، يفاجئنا دورينمات بجموع أهل البلدة، المهزومة على طول الوقت، كما لو أنهم واقفين يتفرجون على ما يحدث، مستسلمين كما لو أنه قدر إغريقي غير قابل للمناقشة أو التغيير، يفاجئنا بتغير الموقف، بعودة القاتل المحترف جو ماريجوانا، ابن القرية، بعد أن تستيقظ شخصيته الأولى: القس سيب بريتاندر ابن قس القرية بريتاندر، الذي يقف في النهاية في صف رجل الدين،و يلقي على أهل القرية في الكنيسة المتداعية، موعظة من نوع جديد، مختلفة تمامًا عما تعودوا أن يسمعوا منه، موعظة أشبه بخطبة الجبل التي قالها المسيح (ما جئت لألقي سلامًا، بل سيفا، وأنه أسهل على الجمل أن يدخل من سم الإبرة، على أن يدخل أحد الأثرياء جنة الرب!) موعظة يحرضهم فيها على الفهم والتيقظ، بل ويقودهم للتمرد، ويدفع أهل البلدة إلى حرق المنتجع، الرمز، الشر، الأشرار، إلى حرق فوضى العالم.

"ذات يوم، طرد الغرباء من هذا البلد بالعصي والحجارة
واليوم تتعيشون على ما يجود به الغرباء
البلد كلها بطولها وعرضها تتسول، تعيش على التسول
منذ أن عشش الفقر وانتصر في المنتجع
على يد مجموعة من كبار الأثرياء وعتاة المجرمين القتلة
لقد أفسد المنتجع حياة أجدادكم، وأجداد أجدادكم

كما أفسد حياة آباءكم وحياتكم
وحياة أولادكم وأولاد أولادكم
أكثر سهولة أن توقظ الموتى ، عن أن توقظ هؤلاء
بكسلهم وبلادتهم ورخاوتهم
فليكن المنتجع هو شجرة عيد الميلاد التى نشعلها
أشعلوا المنتجع!
حتى يحترق الشر والأشرار الذين يفسدون العالم
ويسببون له ولكم التعاسة
حتى يعرف الآخرون
أنه يوجد فى رؤوس أهل هذه البلدة شىء آخر غير القش
عليكم أن تفكروا بحق السماء!!"

عندئذ أحس أهل البلدة أنهم وحدة واحدة، شعب واحد، أكثر من شعب، شعب يمتد فى التاريخ، قرية وادى الفوضى تخصهم، هم الذين يأمرون فيها، إنهم هم أنفسهم منذ قرون، منذ آلاف السنين، منذ بداية العالم، لم تصبهم رخاوة أهل العاصمة. وأشعلوا المنتجع حتى آخره.

قبل أن يكتب دورينمات رواية (وادى الفوضى) بسنوات عديدة كتب يقول ما ينطبق تماما على هذه الرواية:

إن أعمالى تحكى فوضى العالم الذى لا ملامح له، تخلق نظامًا من الفوضى. فالعالم الذى حولنا تسيطر عليه الفوضى، ومهمة الكاتب (الأدب، الفن) هى محاولة تنظيم هذه الفوضى، أن يعطى هذا الشىء الذى لا شكل له، شكلاً، أن يخلق من هذا العالم الغريب، شيئًا ملموسًا

له شكل ما، فالعالم غريب عنا بشكل واضح، ونحن نحاول أن نعقد صداقة معه، أن نعقد أية قرابة بيننا وبينه، لكنه يظل غريبًا، مخيفًا. لعالم الذى حولنا، لا علاقة له بنا، نحن الذين لنا علاقة به، نحن مرتبطين به، لكنه ليس مرتبطًا بنا. فكل شىء حولنا يفتقد المعنى. هناك مؤسسة الدولة، والدين، والفن، لكنها مؤسسات غير مترابطة، تسيطر عليها الشكلية، ويضيع فيها الجوهر. لذلك أصبحت مهمة الفن، أن تخلق مكانا بالعقل، تتحد فيه الأشياء وتترابط، هذا وإلا سيتحطم كل شىء وينهار. لا بد أن نصل إلى الجوهرى، وسط هذا الضباب الذى نسميه الحياة اليومية. علينا ألا نحاول أن ننقذ العالم، بل أن نعمل على استمراريته، المغامرة الحقيقية الوحيدة، الممكنة المتبقية لنا فى هذا الزمن المتأخر ".

يسرى خميس

القاهرة مايو ٢٠٠٥

اعتمدت فى هذه المقدمة على دراسة:

ستيفان جوتشى: "الرب والإنسان فى رواية وادى الفوضى" (علاقـة النظرية المعرفية والتيولوجيـة بـين روايـة وادى الفوضى وأعمال دورينمات الكاملة)
كلية الفلسفة – جامعة زيوريخ – نوفمبر ٢٠٠٠.

Stefan Goetschi: "Gott und Mensch im Durcheinandertal" (Erkentnistheoretische und theologische Beziehung zwischen den Roman Durcheinandertal und dem Gesamtwerk Friedrich Durrenmatts)
philosophische Fakultat, Zurich, November 2000.

وادى الفوضى

رواية



كان يبدو كأحد آلهة العهد القديم لكن بدون لحية. كان يجلس على سور الشارع المؤدى إلى المنتجع فى الوادى المضطرب. عندما رأته الفتاة، أوقفت مانى. كان الكلب ضخم الحجم، أسود اللون أبيض الصدر، قصير الشعر، يجر العربة التى وضع عليها قسط اللبن وتمشى خلفها الفتاة. كانت الفتاة فى الرابعة عشر من العمر. فتحت القسط وملأت المغرفة باللبن واقتربت منه. لم تدر لماذا فعلت ذلك. أفرغ الإله الذى لا لحية له اللبن فى جوفه. فجأة أحست الفتاة بالخوف. أغلقت قسط اللبن بسرعة وعلقت المغرفة وأعطت مانى الإشارة، فجرى الكلب مسرعًا بالعربة صاعدًا فى اتجاه المنتجع تتبعه الفتاة، كما لو أنه هو الآخر قد أحس بالخوف.

كان الرب الذى لا لحية له يتميز بمرح لافت. فبعد أن أبدى السيد موسى ميلكر ملاحظته، انفجر فى ضحك متواصل أربك الراقصين فى الحلبة، وشوش على العازفين التشيك الثلاثة (عازف البيانو وعازف الكمان وعازف التشيلو) مما اضطرهم إلى التوقف عن العزف، إلى أن أخذه السيد موسى وأبعده. لم يهتز رمش للرب الذى لا لحية له. كان السبب فى تلك النوبة العارمة من الضحك التى

لم تتوقف، أن الرب الذى لا لحية له اعتقد أن السيد موسى كان يقصده عندما كان يتحدث عن الأب الكبير، إلى أن اتضح له أنه لا يقصده بل يقصد الرب، الرب ذو اللحية. هكذا اتضح الموقف. من يومها كان موسى ميلكر يتجنب تمامًا استخدام كلمة الرب وكان يستخدم بدلًا منها تعبير الأب الكبير، فلم يكن يمكنه أن يتخيل الرب إلا فى صورة رجل قوى عجوز ذى لحية كثة كثيفة، فمن حق الإنسان أن يصنع لنفسه صورة للرب كما يراه، رغم أن ذلك (لا يتفق تمامًا مع حسه المسيحى العميق). إن أكد أعداء العقيدة القادر على نسفها هو التجريد، فالفرد لا يؤمن إلا بإلهه الخاص، كما أنه لا يمكن النظر إليه كشىء مجرد، لذلك كان يتجنب قدر استطاعته استخدام كلمة الرب، فهو يرى أنها قد استهلكت، وأن الأغلبية يرون فيها شيئًا غامضًا مبهمًا غير محدد، أما بالنسبة لموسى ميلكر فقد كان الرب هو(الأب الكبير) لذلك لم يكن غريبًا أن يرتبك الأب الكبير عندما رجاه موسى ميلكر أن يرعاه فى كنف رحمته وأن يباركه فى بناء منتجع يستجم فيه أثرياء البلدة أصحاب الملايين البررة، كرد للجميل وعرفانًا بالفضل والشكر له. وفى سياق الحديث، خفت دهشة الرب الذى لا لحية له، كما فقد رغبته فى المرح، لقد كان أكثر قوة من الرب ذى اللحية. لم يخلق العالم فى ستة أيام، ولم يجد ذلك حسنًا كما فعل الرب ذى اللحية، بل خلقه فى دقائق، فى ثوان، فى أجزاء من الثانية، بل فى أجزاء من أجزاء الثانية، باختصار لقد خلقه فجأة وفى الحال وفورًا ووجده نكتة حسنة. وبشكل عام، لو استبعد من المجال الدينى، لكان الرب الذى لا لحية له، أكثر جبروتًا من الرب ذى اللحية. فلا أحد يوجه إليه أسئلة تمتحن قدرته على خلق صخرة

ضخمة لا يمكن حملها، أو أن يغير شيئًا قد حدث بالفعل: إن سلطته وقوته وقدراته لا تعتمد على علم اللاهوت، بل تكمن في استحالة الإمساك به. لم تحاول أية حكومة أو شرطة أن تتعرض له أو أن تحاول الإمساك به، فهو يعرف الكثير، وكثير من الخيوط في يديه. مَن من العملاء الكبار لا يعرف رقم حسابه في أحد من بنوكه، أو في البنوك الأخرى التي يتعامل معها؟ أية شركة لا يمتلك فيها أغلبية الأسهم؟ أية عملية كبيرة لتهريب السلاح لم يكن له يد فيها؟ أية حكومة لم يقدم لها رشوة؟ وأي بابا لم يطلب مقابلته والمثول بين يديه؟ لا يعرف أحد من أين جاء. قصص وحواديت يتناقلها الناس، لا تخلو من خيال شعبي. يقال أنه جاء من ريجا أومن ريفال إلى نيويورك عام ١٩١٠ أو ١٩١١ وهو فقير معدم، حيث عاش عشر سنوات عجاف في بروكلين. اشتغل فيها ترزيًا للقفاطين، وفي فترة قصيرة سيطر على تجارة المنسوجات والأقمشة، لكن ثراءه الفاحش يرجع أساسًا إلى مضارباته في بورصة نيويورك أثناء فترة انهيارها في أكتوبر ١٩٢٩، فقد اشترى كل الشركات التي قد أفلست. لم يكن أحد يعرف اسمه، فأطلقوا عليه اسم (الأب الكبير). كان يتحدث باللغة اليهودية القديمة، رغم أنه يعرف أكثر من لغة مثل سكرتيره جبريل، رجل ألبينو (عدو الشمس) لا رموش له، شعره طويل وأبيض، يرتدي حلة سهرة فراك، ويبدو دائمًا في حوالي الثلاثين من العمر، يتحدث كل اللغات بطلاقة، ويقوم بترجمة تعليمات سيده المقتضبة بلغته اليهودية القديمة للعملاء الذين يسألون الأب الكبير النصيحة أو الرأي. كانوا يفعلون ذلك بحيطة وحذر. وعن حق، فنصيحته يمكن أن تكون مفيدة، كما يمكن أن تكون خبيثة. فالأب الكبير لا يمكن تصنيفه أو

توقع ما يقول أو يفعل. كثيرون يعتقدون أنه كبير الساحل الشرقى والساحل الغربى، المسيطر عليهما كأحد مناطق نفوذه. أحد المناطق. لم يكن هناك دليل على ذلك. البعض يرون فى شخص ارميا بليال نائبًا له، هذا الرجل الذى جاء من بخارى وأدخل تجارة السجاد فى شارع بيرنج. والبعض يعتقد أنهما شخص واحد، بينما يؤكد بعض المطلعين، أنه لا وجود لهما أصلاً هما الاثنان. كما أنه من غير المؤكد أن يعرف أحد، من هو هذا الرجل العجوز الصامت الذى جاء مع سكرتيره إلى هذا المنتجع الكبير المنسى فى وادى الفوضى، الذى تم بناءه فى منتصف القرن التاسع عشر، ليعيش فى أعلى نقطة فيه من البرج الشرقى. جاء بطريقة غريبة. فجأة كان هناك. قام النادل بخدمته هو وجبريل بشكل روتينى. اعتقد الجميع، حتى البواب ومدير المنتجع جوبلى أنهما من نزلاء المنتجع. لم يلفت نظر أحد، وعندما رحل، نسى الجميع أنه كان هناك. كان نزيلاً ضمن النزلاء. باستثناء الشكل، واضطرابات الجهاز الهضمى، القلب فى مكانه، وكذلك مرض السكر كان قادرًا على تحمله. الغابات الساكنة الهادئة، المشى فى الطريق البديع إلى النبع، حيث المياه المعدنية الشافية، التى يشرب منها ثلاثة أكواب كل صباح، يصاحبه جبريل دائمًا، كونشرتو الرابعة عصرًا والاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية المختارة بعناية كل ذلك كان مفيدًا جدا بالنسبة له.

لم يتوقع أحد أن يكون الأب الكبير بين نزلاء المنتجع، كما أنه من المستحيل أن يعلم أحد بوجوده فى القرية بوادى الفوضى، والتى تتكون من عدة منازل على وشك السقوط. لقد اهتزت الثقة فيه بعض

الشيء مرة ثانية. الآن يكتب له بعض النساء خطابات من عدة صفحات مليئة بالعواطف الملتهبة، ولا أحد يعرف مصير هذه الخطابات، هل وصلت للجزيرة أو إلى جنوب كاليفورنيا أو إلى غرب استراليا أو إلى قصر الملك هاكون فى القطب الجنوبى، أم لم تصل بالمرة، وعلى أى عنوان قد أرسلت، فهى لا ترد لراسليها، كما أنه لم يرد عليها. وهكذا حافظت الأرملة العجوز السيدة هونجربولر على إرسال خطابها اليومى الذى يتكون من صفحة واحدة، فلقد كانت المرأة الوحيدة الثرية فى القرية. باع زوجها ايفو هونجربولر مصنع الأحذية الذى كان يمتلكه فى سانت جاليشن منذ أربعين عامًا، وكان الوحيد فى القرية الذى بنى لنفسه فيلا، لم تكن تتناسب حقيقة مع الوادى. وقد اعتبره زملاء الحرفة من أصحاب مصانع الأحذية رجلا أحمق، لكى يبنى فيلا فى تلك القرية المهملة ليعيش هناك. والذى يؤكد حماقته، ذلك الذى حدث ليلة حفل تدشين الفيلا التى مرت بسلام، فافتعلت زوجته باربره هونجربولر شجارًا معه، عندما تسبب سيجاره المشتعل فى إحداث ثقب فى الستارة. عندها صرخت أمام المدعوين قائلة بلهجة خشنة: "انظر ماذا فعلت" ما أن انصرف آخر المدعويين، حتى انقض عليها زوجها ممسكًا بخناقها، مندفعًا معها من باب الصالون حيث سقطا معًا فى الحديقة. وعندما اضطر أحد المدعويين للعودة حتى يحضر مفاتيح سيارته التى نسيها، وجدهما راقدين جنبًا إلى جنب فى حديقة الفيلا. بعدها أكد الطبيب أن صاحب مصنع الأحذية ايفو هونجربولر قد مات، فلقد انكسرت رقبته من السقطة، بينما الأرملة ما زالت تحيا، لكنها لا تستطيع الكلام. من يومها، وهى تكتب يوميًا رسالتها للأب الكبير. أما القرية نفسها،

فيعيش فيها حوالى ثمانين عائلة فى مواجهة المنتجع، علـــى الناحيـــة الأخرى من الوادى، حيث يفصل بينهما النهر. كان الـــوادى يتميـــز بطبيعة خلابة، تحفة غابة كثيفة من ناحية الشرق، بينما ترقد الهضبة التى عليها المنتجع والحديقة وحمام السباحة وملاعـــب التـــنس فـــى الهواء الطلق. كانت الغابة متدرجة حتى السفح، أشجار الصنوبر فـــى الأسفل، تليها أشجار اللاريس وتنتهى بالجدار الصخرى عنـــد جبـــل للتسلق. وفى المقابل، لم تكن هناك غابة تحمى القرية مـــن الـــشمس، تتناثر هنا وهناك على الهضاب بعض الأكواخ بـــدون معنـــى، فـــى انتظار أن يعاد بناؤها، لكنها تقع فى عمق الوادى ولا تصلح للتزحلق فى الشتاء. من العائلات المعروفة والتى تعتبر من أوائـــل مؤســـسى القرية، عائلة بريتاندر وعائلة زافانيتى. كان بريتاندر عضو المجلس القومى، وكان زافانيتى طبيب بيطرى المقاطعة. الآن أصبح بريتاندر يسمى عمدة القرية، قبلها بعدة سنوات كان هو القـــس الـــذى يبـــشر بكلمات الرب بصوته الهادئ، كيف يمكن للمرء أن يفهمه، إن كـــان بريتاندر نفسه لا يفهم ما يقول، قالها أحد الشماسين واختفى بعـــدها. وبعد موت العجوز بريتاندر، لم يتقدم أحد للقيام بتلك المهمـــة، فكـــان أحد المصلين من أهل القرية يقوم بها مرة فى الشهر، بالتناوب مـــع زوار الكنيسة الآخرين، فى مواجهة الأرائك الفارغة، التى نادرًا مـــا كان أحد من المقاطعة يزورها بين الحين والآخـــر. كانـــت الكنيـــسة القديمة الآيلة للسقوط والتى تتسرب من سقفها مياه المطر، غيـــر ذات أهمية حتى يمكن اعتبارها مبنى أثريًا من آثار المقاطعة، وكانـــت لا تستحق التجديد لقلة زوارها، بينما كان أســـقف عاصـــمة المقاطعـــة، يخطط لأن ينشىء بالقرب من المنتجع كنيسة كاثوليكية صغيرة، رغم

أن أهل القرية كلهم من البروتستانت. كان مدير المنتجع ومالكه جوبلى ينتظر معجزة، فابنته ما زالت تعرج، والأمل معقود على روما. وهكذا لن تقام كنيسة كاثوليكية وسوف تنهار الكنيسة البروتستانتية بالتدريج، فنحن نحتاج للأخشاب. المرء يحتاج فعلاً للأخشاب، كثيرون يعيشون من تلك الحرفة، يصنعون طاولات الفلاحين الخشنة، والدواليب والكراسى، كذلك يصنعون العصى ويصنعون من قرون الغزلان البرية عصى للشماسى، وعلى قرونها تعلق القبعات، كما يصنعون من القطع الصغيرة مطفئات للسجائر. كانت الكنيسة تلاصق منزل القس المتهدم، الذى يستند بدوره على مقاهى القرية وباراتها "قمة الجبل" "السويسرى" " مجزرة الحديقة" "عند الجنرال جويزان" إلى "الغزلان". وكان هناك فى مواجهة بيوت القرية، مخبز للحلويات وجراج للسيارات ودوار العمدة ونقطة المطافئ. كان المخبز يمد المنتجع بجميع أنواع المخبوزات والفطائر والجاتوهات، ويستضيف فى قاعة الشاى العديد من نزلاء المنتجع المرضى بالسكر، ليقدم لهم دون إحساس بالذنب، كميات كبيرة من الحلوى، كما لو أن ذلك من أصول اللياقة والكرم. أما الجراج فهو ضرورى، فموقع المنتجع البعيد يستوجب مكاناً للسيارات. كذلك فإن زريبة العمدة هى التى تمد المنتجع باللبن، صيفاً بالعربة وشتاء بعربة التزحلق، التى يجرها كلب ضخم الحجم أسود اللون أبيض الصدر، له رأس ضخم. وكان العمدة لا يعرف من أين جاء هذا الوحش. لا أحد يعرف حقيقة، لم ير أحد كلبًا بهذا الشكل. لقد كان ببساطة هناك، عندما دخل بريتاندر الزريبة ذات مرة، فتمسح به الكلب متوددًا حتى أوشك أن يوقعه. فى البداية انتاب العمدة خوف شديد منه ثم تعود

على الكلب تدريجيًا، حتى صارت حياته بدونــه مــستحيلة. أخيــرًا أصبحت لنقطة المطافئ فائدة، بعد أن أرسلت لها المقاطعة موتــورًا جديدًا. ليس من أجل حماية القرية وأهلها، فماكينة ضخ المياه اليدوية القديمة تكفيها وتزيد، بل من أجل المنتجع، الذى ركبت له خصيــصًا مصلحة المياه بالاشتراك مع مصلحة الإنــشاءات تحــت الأرضــية، ماكينات هيدروليكية على برجى المبنى الرئيــسى. وكانــت القريــة تتعيش أساسًا من العمل فى المنتجع، تمده فى الصيف بالشغيلة التــى يحتاجها، خادمات للمغسلة وخادمات للغرف، صبية للمصاعد، شيالون لحمل حقائب، جناينية، عربجية، سياس للسيارات، وفــى عيــد أول أغسطس (يوم الاتحاد الرياضي) يتجول نزلاء المنتجع فــى القريــة، ويشترون بعضًا مما يصنعه الفلاحون من أعمال فنية شعبية بدائيــة. وعندما يحل فصل الشتاء، يصبح المنتجع فارغًا بلا نــزلاء، فتعــود القرية لتغرق تمامًا فى الإهمال.

اقترب موسى ميلكر هذا المساء من الرب الذى لا لحية له قبــل أن يختفى. فى منتصف الليل تمامًا، كان الأب الكبير يجلس يراقــب نزلاء المنتجع، وبجواره سكرتيره، فى الحقيقة، لــم يكــون النــزلاء أثرياء بشكل فاحش، لكنهم كانوا أغنياء بما فيــه الكفايــة، الجميــع صحتهم ليست على ما يرام، عرجى مصابين مــن التزحلــق علــى الجليد، أزواج ترقص وتدور، أو تسترخى مرهقة فى الفوتيات. بينما كان الموسيقيون التشيك الثلاثة، الذين يأتون كل صيف إلى المنتجــع، حتى أصابهم الملل من المنتجع ومن القرية ومن وادى الفوضى كله، يعزفون وهم نائمون، موسيقى التانجو الأخير والبوجى ووجى وألحانًا

من شوبرت، "فى خليج البورى"، "أغنياتى تنساب بهدوء"، "التجول هومتعة السيد موللر"، "فلتتقدس مريم". كان موسى يشبه زنجيًا أبيض جاء لتوه من الأحراش، قصير القامة يقترب من قزم، له شفتان غليظتان وشعر قصير مجعد يكسو لحيته. ربما كان السبب فى قهقهة الأب الكبير هى آراء موسى فى الدين التى تدفعه دائمًا للضحك عندما يتحدث عن الرب ذى اللحية، أو ربما كان الدافع النفسى الذى أدى إلى موسى بالاهتمام بالدين، هو الذى فجر ضحكات رجل اختبر الحياة كالأب الكبير. نشأ موسى فى إقليم امينتال كابن غير شرعى لخادمة بروتستانتية، وخادم كاثوليكى. وكان اللذان قاما برعايته كطفل يتيم، واللذان كانا أقرب إليه من والديه الحقيقيين، سكيرين مدمنين، لكنهما لم يضرباه قط، بل كان يضرب كل منهما الآخر بعنف وبقسوة أثناء مشاجراتهما المتكررة، حتى يصيبهما الإعياء، فيعجزان عن ضربه هو. لم يكن سعيدًا قدر ما كان تلك الليلة، التى أدمى كل منهما الآخر من الضرب، ساعتها غامره شعور غريب بالتخفف والأمان. فأخذه قسيس القرية. كان الوحيد الذى لا يخرف ولا ينام أثناء إلقاء الدروس الدينية. أرسله قسيس القرية إلى ملجأ دير سانت كريشونا التبشيرى فى مدينة بازل، ليتعلم ويصير مبشرًا، لكنهم سريعًا ما غيروا رأيهم، مؤكدين أن منظره وحده كاف لأن يفزع الكفار، فتوقفوا عن مواصلة تعليمه. لكن موسى ميلكر كان يرى كفارًا من نوع آخر غير الذين تتكلم عنهم بعثة التبشير. لقد أضاءت له الطريق كلمات الإنجيل "مبارك هم المعتوهون البلهاء، فالجنة فى انتظارهم" فالسعداء هم الفقراء وحدهم، لأن الأب الكبير (يقصد الرب ذو اللحية) قد كتب عليهم الفقر، بعكس الأغنياء الذين يحتاجون لرحمة الرب

الواسعة، لكى يكونوا سعداء. وهكذا قرر موسى ميلكر، أن يقود الأغنياء إلى الهداية والإيمان. ولقد لفتت الأنظار عناوين كتبه العديدة "الغامض من الناصرية"، "الجحيم السماوى"، "الموت الإيجابى"، "الخطيئة الشجاعة"، وعلى وجه الخصوص كتاب "علم لاهوت الغنى". الذى رفضه بارت كلية، بينما كتب بولتمان أن الأمر بالنسبة له سيان، كيف سيدخل الجنة، هذا لو دخلها أصلاً، أما البعض فقد وجد فى كتابه عن لاهوت الغنى لاهوتًا للفقر، وذلك لاكتشافهم أن رحمة الرب لا يمكن حسابها أو توقعها. فالأشرار وحدهم هم المستفيدون من رحمته بدرجة أو بأخرى (لقد وصل كايتان زنزمان إلى تفسيرات شاذة عن حياة مريم العذراء واستبعد من أجلها). وهكذا استبعد موسى ميلكر الفقراء من نعمة الرب، من الشىء الذى لا يمكن توقعه، إلى الشىء الممكن توقعه، حيث يصير الفقر فى حد ذاته هو الخلاص المقدس، بينما يكون فى نفس الوقت بالنسبة للبعض المبرر الوحيد للثورة، وهكذا تتساوى أفكار موسى ميلكر الدينية مع أفكار هيجل الفلسفية، وتنقسم إلى اتجاه يمينى واتجاه يسارى. لم يتخذ موسى موقفًا بخصوص هذا الأمر. كانت آراؤه الدينية تشبه وضع لوح من الخشب على هوة عميقة. ولأن الأبخرة كانت تتصاعد بلا توقف من تلك الهوة، نتيجة الصراع المستمر بين قبحه المنفر وشبقه الحسى الجارف، كان عليه أن يضع لوحًا خشبيًا آخر على الهوة، عندما يتذكر زوجاته الثلاث اللاتى كان يحبهن لحد العبادة، المرحومتين اميلى لاوبر وأوتيلى رويشلن، وزوجته الحالية سيسيلى رويشلن، أخت أوتيلى. انه يدين بالشكر لثلاثتهن من أجل الفيلا الفاخرة التى يعيش فيها بإقليم امينتال أوب جرينفيل. كانت المرحومتان ثريتين

وقبيحتين، أما الثالثة فهى أشد ثراءً وأشد قبحًا. الأولى كانت تمتلك مصنعًا للكاوتشوك، والثانية كانت تشترك مع أختها فى مؤسسة كبيرة لإنتاج السيجار، أما الثالثة، فبعد موت أختها صارت تمتلك وحدها مصنع السيجار. الأولى انكسرت رقبتها عندما سقطت من أعلى شجرة صنوبر، وهى فى حالة تقمص لشخص كبير الملائكة ميخائيل، والثانية غرقت فى نهر النيل فى رحلة شهر العسل. لكن موسى ميلكر لم يكن سعيدًا بكل ما ورثه من ثراء فاحش، فلم يكن من السهل عليه أن يتزوج عن حب خالص ثلاث مرات، المرة تلو المرة من نساء قويات فاحشات الثراء وقبيحات. أحيانًا كان يشعر بقلق غامض، فيأخذ سيارته الرولز رويس وينطلق بها، إلى أن يهدأ ويبتعد عن شكوكه ووساوسه، ثم أعلن أنه فقير مسكين، بل أطلق على نفسه بالفعل اسم موسى المسكين. فثروته الحالية، يعود جزء منها إلى أرملتيه المباركتين، كما يحب أن يقول دائمًا، وهما الآن سويًا فى السماء، والجزء الآخر يعود إلى سيسيلى زوجته الحالية، التى يحبها بنفس الدرجة. بل إن ما تدره عليه كتبه من مال يعطيه لزوجته، فلولا أموالها ما تمكن قط من نشر مجلداته الضخمة. الأب الكبير يرى كل شيء. كانت الألواح الخشبية تنهار فى الهوة دون توقف لوحًا وراء لوح. لم يكن يتخيل موسى ميلكر أن الرجل القبيح الشكل، له تأثير جنسى بشكل خاص على أجمل النساء. لقد كان شعوره الحاد بالنقص، سببًا فى إفساد علاقته مع امرأتين قبيحتين مثله من أصحاب الملايين، لقد كان بإمكانهما أن يكونّا بسهولة علاقة مع رجال يتمتعون بحسن الطلعة. وما أن يغزو امرأة حتى تبدأ الهوة فى الفوران، ويطفو على السطح شك غامض، لم تقبله ايميلى لاوبر كزوج من أجل صفاته

كرجل، أو بسبب شبقه الجنسى الزائد تجاهها، لكن الذى غـــرر بهـــا حقيقةً كان موقفه من الدين، الذى كان يساعده دائمًا فى الخروج مـــن مستنقع عقده، بل كان السبب فى أن توهم ايميلى نفسها بأنهـــا كبيـــر الملائكة ميخائيل، مما أثار غيظه لدرجة كبيرة. لقد كان الأب الكبيـــر يعتقد أن موسى ميلكر قد ساهم لحد ما فى سقوط زوجته مـــن علـــى شجرة الصنوبر، ربما صعد خلفها على نفس الغصن، أو ربمـــا قـــام بنشر الغصن الذى كانت تجلس عليه (فمن يجرؤ علـــى أن يتقـــصى ويبحث خلف رجال الدين) لكن الأب الكبير كان متأكـــدًا أن موســـى ميلكر هو الذى ألقى بزوجته الثانية فى نهر النيل. كان حلمًا جمـــيلاً بالنسبة لأوتيلى، أن يتضمن شهر العسل رحلة نيلية من أسوان إلـــى الأقصر، تزور فيها معبد أبوسمبل. فى مواجهة تمثال رمسيس الثانى، كان موسى ميلكر يبدو كالقرد المشوه الملعوب فى جيناته. كان الأب الكبير يرى فى أوتيلى رويشلين امرأة ثرية قوية متـــسلطة وقبيحـــة، وكان الأب الكبير يحترمها بقدر ما كان يسخر من موسى ميلكر. كان يحب استقلاليتها، فقد كان بإمكانها أن تنشأ علاقة مع أى رجل يحلـــو لها، فمن يرفض أن يشارك مليونيرة فى ملايينها. فلو أنها تزوجـــت من رجل جميل الطلعة، فسوف يؤكد ذلك قبحها ويظهره أكثر، أمـــا موسى فهى لا تعطيه أية أهمية. لم يكن سهلاً على موسى أن يتحمل بشكل مستمر هذا الشعور بالإهانة. كانت أشعة القمر تـــنعكس علـــى صفحة النيل بالقرب من إدفو، وكان موسى وأوتيلى وحـــدهما علـــى ظهر السفينة. كاد موسى أن يسقط وراءها، لولا حذره الـــشديد. لـــم يسمع أحد صوت سقوطها وارتطامها العنيف بالمياه. داهمتها المفاجأة لدرجة أنها لم تتمكن من الصراخ. محملة بمجوهراتها الكثيرة، هوت

فى الماء كحجر كبير. نسى موسى ميلكر ما قد فعلـه مؤقتًـا. لقـد وصلت ألواح اللاهوت الخشبية إلى قاع الهوة. ذهب إلى مقـصورته وابتدأ فى كتابة كتابه ذائع الصيت "محروس من ملكين" الذى تـرجم إلى أكثر من ثلاثين لغة، وحقق أعلى المبيعات، عرفانًا وإهداءً لروح زوجتيه المقتولتين. وفى ظهيرة اليوم التالى، أبلغ القبطان بعد تـردد، بغياب زوجته. فبحثوا وبحثوا ولم يجدوا شيئًا، ولم يشك فى أحد. كان حزنه حقيقيًا. وانتهى الموضوع بالنسبة له. وعند عودته إلـى الفـيلا ودخوله غرفة النوم، تذكر تفاصيل كل ما حدث. فى فراش الزوجية، كانت ترقد امرأة ضخمة ذات لغد متهدل وثديين كبيرين بشكل مبـالغ فيه، إنها سيسيلى رويشلن أخت زوجته، ترقد مرتدية قمـيص نـوم حريرى شفاف، وتضع على بطنها عدة علـب شـوكولاته، وتـدخن السيجار وتقرأ رواية بوليسية. نظرت سيسيلى رويشلن إلـى موسـى ميلكر، واصلت القراءة وهى تدخن. نظرتها، أكـدت لموسـى أنهـا عرفت كل ما حدث. انزلق بجوارها فى الفراش وكان زواجه الثالث.

ليست سوى فرضيات بالطبع لتفـسير ضـحكات الأب الكبيـر وقهقهاته، تمامًا مثل الجثتين فى عمق لاشعور رجل الـدين، ليـست أيضًا سوى فرضيات. العالم ليس سيئًا لهذه الدرجة كما يعتقـد الأب الكبير، ولو أنه فى الحقيقة أكثر سوءً. ومن الواضح أن القصة التـى تحكى هنا قصة مركبة متداخلة، حيث تتولد القصة من قـصة ثانيـة وتتداخل مع قصة أخرى، لكنها ليست مجموعـة قـصص لا رابـط بينها. لذا علينا أن نبحث عن سبب آخر لقهقهات الأب الكبير، ربمـا يكون موسى وزيجاته الثلاث أو موسى كرجل دين، هذا محتمل. على

أية حال، لقد أخذ رأى أحد المحـــامين الثلاثـــة رافائيـــل ورافائيـــل ورافائيل، بصرف النظر أيهم، فلا فرق بينهم. ولا أحـــد يعـــرف أن يميز بينهم، الرئيس الكبير أم الرئيس أم الرئيس الصغير، وحتى فـــى مكتب المحاماة بشارع مينرفا ٣٣ بمدينة زيوريخ لم يكن أحد قـــادرًا على التحديد، البعض يؤكد أنه لا يوجد سوى رافائيـــل واحـــد فقـــط، والبعض يؤكد أن الرئيس الكبير والرئيس توأمان يـــستحيل التمييـــز بينهما، بينما الرئيس الصغير قد مات منذ فترة، وآراء كثيرة أخـــرى. لم يعرف أحد من الذى ركب الطائرة، ولم يعرف الذى ركب الطائرة إلى أين تتجه الطائرة، فهو كثير الترحال إلى أماكن متعددة، لكنه لـــم يعرف قط من الذى عليه أن يقابله. فالطائرة بلا نوافذ، ومـــن غيـــر الممكن أن يجلس فى كابينة الطيار، عند الإقلاع وضع له منوم فـــى الشمبانيا التى قدمت له، دون أن تلحظ المضيفة نفسها ذلـــك. وكـــان ممر الهبوط الوعر التى هبطت فيه الطائرة هذه المرة يحاذى ملعبًـــا للجولف. وعندما خرج المحامى من الطائرة وجد نفسه واقفًـــا علـــى بساط أخضر. فى كل مكان توجد مضارب للجولف، أغلبها يعلوهـــا الصدأ، كما توجد كرات كثيرة للجولف. كانت الشمس علـــى وشـــك الغروب. فى نهاية ملعب الجولف، كان هناك مبنى أبيض اللون لـــه قبة تشبه قباب الفاتيكان، يقع على حافة الشاطىء المتعرج مباشـــرة، وكان المبنى مهملاً لدرجة ملفتة، كما يبدو من نوافذه المحطمة. مـــن المؤكد أن هذا المبنى كان ذات يوم فندقًا، كانت العناكب تعشش فـــى القاعات الخاوية، والطيور تبنى عـــشوشها علـــى حـــواف النوافـــذ والأبواب، فى أحد الممرات كانت هناك حشرة ضـــخمة، عنكبـــوت بحجم اليد، وكانت دورات المياة فاخرة المظهر، لكنها شديدة القذارة.

تحت القبة توجد قاعة الاحتفالات، يتوسطها بوفيه فاخر، نصب منذ شهور كما يبدو، فلقد كان الطعام متعفنًا يغطيه الذباب. كان المحيط أو الأطلنطى عميق الزرقة، تخف زرقته تدريجيًا تجاه الأفق. عربة تليفريك تتحرك بصعوبة فى اتجاه البحر، تقابلها عربة أخرى فى اتجاه مضاد. على الشاطىء، يرقد رجل يرتدى بنطال سهرة سموكنج قديم، بينما نصفه الأعلى عاريًا، مليئًا بشعر أبيض أشعث، يغطى وجهه بقبعة مكسيكية من القش. ربما كان هو الأب الكبير، وربما لم يكن هو الأب الكبير. كان ينام على مرتبة تبرز منها خصل من شعر الخيل. أمام الرجل النائم، يقف رجل نحيف لا يرتدى سوى بالطو أبيض، منهمك فى تجهيز حقنة، كان هذا الرجل أصلعًا تمامًا، يضع على عينيه نظارة نصفية مذهبة بدون إطار، تشع خلفها عينان زرقاوان، فيبدو كأحد شخصيات لوحات الجريكو. على الشاطىء، مجلات فاضحة مبتلة، "أطلس ستيلر القديم لأجزاء الأرض وبنايات العالم" الصادر عن دار نشر يوستوس بيرتيس عام ١٨٩٠، "موسوعة ماير للحوار" فى ١٨ جزء، الصادرة عام ١٨٩٣ - ١٨٩٨ "فلسفة الفراش" للمركيز دى صاد، عدد هائل من دليل التليفونات، "العقيدة الكنسية" لكارل بارت، الجزء الثالث "تعاليم الخلق: عن أحكام الرب" كومة من تقارير البورصة، مجلة "در شبيجل" الألمانية، الموسوعة العبرية الكاملة:

"Biblia Hebraica ad optimas, editions imprimis Evardi Van der Hooght"

كومة من المجلات القديمة، وتلال من الخطابات المفتوحة تغطى الشاطئ كله، ترتطم بها الأمواج، يتلألأ وسطها عدد لا حصر له من ساعات الجيب وساعات اليد، من الصفيح ومن الفضة ومن الذهب ومن البلاتين. تصعد الشمس فى السماء. لم يكن المساء بالتأكيد، بل صباح يوم جديد. التيليفريك يصعد ويهبط محدثًا أزيزًا، ينزل منه رجل ألبينو (عدو الشمس) ذو شعر أبيض، يرتدى حلة سهرة سموكنج، ويفرغ من سلة مهملات كمية خطابات مغلقة إلى كومة الخطابات المغلقة الأخرى. التيليفريك يصعد ويهبط ثانية محدثًا أزيزًا مزعجًا. يستيقظ الرجل من تحت القبعة القشية المكسيكية، ويبدأ فى الضحك. يقوم الرجل النحيف الأصلع بحقنه فينام الرجل تحت القبعة القشية المكسيكية. يصعد المحامى إلى التيليفريك ويبدأ فى التحرك.

عودة لشارع مينرفا، تذكر المحامى لماذا طلبه الأب الكبير (إن كان هو فعلاً الأب الكبير). لقد قرر شراء المنتجع بكل مشتملاته، رغم أنه لا يعلم من أين هبطت عليه كل هذه الثروة فجأة، وما هو مصدرها، حتى جوبلى نفسه مدير المنتجع، لم يكن يعرف لماذا كان عليه أن يبيع المنتجع، لقد أسسه أحد أفراد عائلة جوبلى، وتولى إدارته فرد آخر من عائلة جوبلى، وهو يديره الآن كأحد أفراد عائلة جوبلى، والمنتجع يدر أرباحًا لم يدرها من قبل، كما أنه يشعر بمسئولية ما تجاه أهل القرية، لكن المبلغ الذى عرضه عليه محامى عاصمة المقاطعة بشارع مينرفا كان مغريًا لدرجة، أنه قبل شروطه كلها دون مناقشة، على أن يخلى المنتجع الذى عاش فيه طول تلك الفترة، ويسلمه له بعد موسم الصيف مباشرة. أخذ جوبلى القطار

للبحث عن طريقة ما لتخفيض الضرائب، أما المحامى فقد اتضح لـه الموقف بعد اتمامه صفقة شراء المنتجع: كانت خبطة معلـم بالنـسبة للكونت فون كوكسن، لم يقدرها المحامى حق قدرها من قبل. الشىء المحير بالنسبة للمحامى، أنه تذكر فجأة أنه يوجد كونت بهذا الاسـم، أتى من ليشتنشتاين، تلك الدولة القزم التى تبلغ مساحتها ١٦٩ كيلـو متر مربع، والتى تتميز بأنها تفرض ضرائب زهيدة جدًا، لـذا فهـى تجذب الأثرياء كمغناطيس بأموالهم الطائلة. كان الكونت فى حـوالى السبعين من عمره، يقود الجيل الوسط لعائلة بيبين، التى تمتد جذورها إلى جد جده كارل العظيم، كان يقول عن أمراء ليشتنشتاين أنهم بالكاد يقتربون من النبلاء. كان بدينًا ضخم الجسم، متأنقًا أناقـة كلاسـيكية غير عصرية، يضع مونوكل على عينه، وباروكة شقراء على رأسه، ومع ذلك كان منظره مقبولاً، لا يثير الضحك. وكان أوسـكار، ابنـه بالتبنى، ليس أقل أناقة منه، لكنه يرتدى ملابس عصرية. إنه ينتمـى لهؤلاء الذين لا يتميزون بأية خصوصية، فجميعهم متشابهون. فالعالم يضج بهذا النوع من الرجال ذوى القوام الممـشوق الـذين يحلقـون ذقونهم بشكل زائد النعومة، ويتعطرون بفجاجة، ويرتدون رباط عنق على ملابس داكنة، ويفرقون شعرهم بعناية مثل أوسكار. كان يعمـل فى محل كوكسن لبيع الكتب والأشياء القديمة بمدينة فادوز، يبيع فيـه أثاث النبلاء النمساويين الذى حط عليهم الفقر، كما كان يبيع طوابـع بريد مقاطعة ليشتنشتاين التى بها غلطة مزيفة، وإذا طلب أحد الزبائن أشياء نادرة أخرى، يأخذه السائق إلى القصر الصغير بحى الأخـوات الثلاث (من يعرف جغرافية ذلك البلد القزم) حيث يعيش الكونت وسط كنوزه الشهيرة المدهشة، لوحات تيزيـان، وروبنـز، ورمبرانـت،

وبرويجل، وجويا، والجريكو، جميعها مزيفة، ومعتمدة بشهادات من متخصصين عالميين، وربما كانت أصلية. كان الزوار يتجولون في القاعة وهم يرتعشون من شدة الحذر كما لو أنهم في محل لبيع القنابل والمفرقعات. وكانت أسعار اللوحات المزيفة مرتفعة جدًا، من يدرى، فربما كانت أصلية، وهكذا كان الزوار مستغرقين تمامًا فيما هم فيه، لدرجة أنهم لم ينزعجوا من نباح الكلب الذى اقتحم القاعة آتيًا من حديقة القصر، فلقد كان الكونت يمتلك مزرعة كبيرة لتربية الكلاب من سلالة الدوبرمان، التى كانت ذات شهرة كبيرة، تمامًا مثل لوحاته المزورة. أما ذلك الخلاف الذى حدث بينه وبين ابنه بالتبنى بخصوص وضعه لوحة فرانز هالس المزورة بالمقلوب، صورة قسيس من المينونيت (جماعة بروتستانتية تتبع مينوسيمونز) بشفاه غليظة ولحية قصيرة مجعدة الشعر، فربما كان بسبب ادجار الذى كان يقف فى المحل ويبتسم للزبائن بدلاً من أوسكار، وكثيرًا ما كان الزبائن يخلطون بين الاثنين. سبب تافه بالنسبة لما حققه ادجار: فبعد أن قام بترميم اللوحة، حازت اللوحة على شهادة موثقة تؤكد أن لوحة فرانز هالس لوحة أصلية، وعليه، اشترتها مؤسسة جولبينكيان بأربعة ملايين دولار، وعليه تبنى أيضا ادجار.

استمرت نشوة الكونت بأنه من أنجح الرجال فى مجال عمله حتى نهاية شهر نوفمبر فقط. فى شقة متواضعة، استقبله رجل صغير الحجم من أصل آسيوى يصعب تحديده، قرغيزى أم منشورى أم تركمانى سيان، يلصق على صلعته خطوطًا من الشعر الأسود كما لو أنها مرسومة بالفحم، يبدو بملابس المطبخ الضيقة التى يرتديها وأظافره المتسخة السوداء، كما لو أنه خرج لتوه من مدخنة المدفأة،

التى يجلس بجوارها. ولقد حاول فون كوكسن أن يخدع هذا الرجل شديد الثراء ذى الأصل الآسيوى الملتبس، منظف المداخن، فى بيع لوحة مزيفة لجويا. المرة الأولى التى لم يكن فيها حريصا كما ينبغى، والتبست عليه إشارة مكتب محاماة رافائيل ورافائيل ورافائيل فى زيوريخ شارع مينرفا ٣٣، بأن أحد الزبائن مهتم باللوحة. كان درسًا قاسيًا، كارثة بكل المقاييس. فلقد كان منظف المداخن هذا يعرف كل شيء، ليس فقط عن الكونت، بل عن ليشتنشتاين بأجمعها، لدرجة أن الكونت كان ينتظر أن تداهمه الشرطة فى أية لحظة. لذلك ضحى بالأربعة ملايين التى كسبها من مؤسسة جولبينكيان وبصورة جويا المزيفة لمنظف المداخن. أخذ الكونت سيارة أجرة وهو فى حالة غضب شديد وانطلق إلى شارع مينرفا ٣٣، كانت فيلا قديمة على وشك السقوط، تحيطها بعض أشجار الصنوبر. وكان المونوكل على عين الكونت يشع بشكل يوحى بالخطر. فتح له الباب شاب صغير ذو شعر أحمر. وجد الكونت نفسه فى حجرة مهملة مشققة الجدران، يجلس فيها ثلاثة محامين الواحد مقابل الآخر، رؤوسهم تتشابه تمامًا، ويستحيل التفرقة بينهم إلا بلون الشعر: أحمر، وأبيض شائب، وناصع البياض، رافائيل ورافائيل ورافائيل. كان أصغرهم ألثغ اللسان، وأوسطهم ذو صوت خشن، أما أكبرهم فكان دائب الانشغال بجهاز سمعه، الذى كان يصدر صفيرًا بلا توقف. جلس الكونت. افتتح الألثغ الجلسة، فشكر الكونت وأخبره أن وكيلهم فى نيويورك قد باع لوحة جويا بعد أن ثبت أنها أصلية فى مزاد كريستى بمبلغ اثنا عشر مليون دولار. وقال الآخر ذو الصوت الخشن أن الكونت كوكسن قد اختير لثبوت حرفيته العالية فى التزوير، كعضو دائم فى أول نقابة بالولايات

المتحدة الأمريكية، بناء على توصية من مكتب رافائيل ورافائيل ورافائيل، ونرجو ألا يكون للكونت أى اعتراض على ذلك. ثم أكمل أكبرهم بكلام غير مفهوم، فقد كان فكه يؤلمه وقال: يمكن لكوكسن أن ينصرف.

كان مكتب محاماة رافائيل ورافائيل ورافائيل مشغولاً بقضايا أخرى، فلقد اجتذب بعض المحامين للعمل معه كمستشارين من المجلس المحلى ومن المجلس القومى ومن المجلس الاتحادى، لتبادل الخبرات الادارية. كانت نشاطات الأب الكبير واضحة بالنسبة لرافائيل ورافائيل ورافائيل، لكن بعض المحامين العاملين معهم ألقوا بظلال الشك فى وجود جريمة ما، صورة مخففة، أخذت تخف وتخف تدريجيًا حتى انتهت تمامًا، اختفت، وصار لها وجهًا إنسانيًا، فالأمر لا يتعلق فى الحقيقة بصورة ما، إنما يتعلق بفكرة غير واضحة لاتحاد غير ملزم لفاعلى الخير من أصحاب الملايين، والتى توازى وتعمل مع جمعية بوسطن للأخلاق The Boston Society for Morality التى تأسست فى كوكس. بعد هذا الانتشار الهادئ الإيقاع، تم تكوين لجنة شرفية برئاسة أحد أعضاء المجلس الاتحادى وعضوية بعض المستشارين من المجلس القومى، ومن المجلس المحلى، ورجال بنوك، وشخصيات عامة فى المجتمع، وأستاذ فى علوم الدين، دون أن يعلم أحد منهم ما هو دور هذه اللجنة بالضبط. وكانت مهمة جمعية بوسطن للأخلاق مهمة غير واضحة، كأغلب الجمعيات الخيرية. فقد احتار السادة فى الجمعية العمومية لتأسيس الفرع الأوروبى للجمعية، فلم يكن يعلم أحد بأن الفرع الأمريكى لا وجود له أصلاً. ثم قام

عضو مجلس الشيوخ بتوقيع وثيقة إشهار الجمعية باسـمه كـرئيس لمجلس الإدارة، وأكد فى كلمته أن المهم هو إنشاء جمعية للأخـلاق على أرض أوروبية، بصرف النظر عن أسـباب تأسيسـها وعـدم وضوح أهدافها، فسوف تتضح بمرور الوقت.

لقد نسي موسى ميلكر مقابلته مع الأب الكبير، كثيرًا ما يزعجـه هذا الإحساس السخيف، عندما ينسى مثل هذه الأشياء الهامة. فلقد فقد الأمل فى مشروع إقامة منتجع لأصحاب الملايـين. فعنـدما تهتـز الأرض وتتزلزل، ويعم الطوفان، وترعد السماء، وتنهـار الجبـال، وتتفجر البراكين، يهب الجميع وتتملكهم رغبـة عارمـة لمسـاعدة الآخرين وفعل الخير. حينئذ تجمع التبرعـات، وتنـشط الإذاعـات، وتعلن بلهجة المنتصر عن اكتمال المليون الأول، ٢ مليون، ٢ مليون ونصف، ٣ مليون، الكل يـساهم، الموظفـون، تلاميـذ المـدارس، المطربون يتبرعون بسهرات غنائية، الكتاب يتبرعون بأمـسية دون مقابل، الفنانون يرسمون، مؤلفو الموسيقى يؤلفون مقطوعات أسـيانة حزينة، العالم يذوب من التأثر والشفقة، أما عندما يقع مليـونير فـى أزمة ما، تجد الأب الكبير (ذو اللحية) يقف بجواره، دائمًا يقف مـع الأغنياء. لكن الأب الكبير الذى لا لحية له، يعرف كيف يفـرق بـين الأمور. أما موسى فلا أحد يواسيه وعليه أن يواسى نفسه، رغم أنـه هو أيضًا مليونير. يرجع الفضل فى ذلك إلى زوجاته الثلاث، وإلـى زوجته الثالثة الحالية بشكل خاص، التى ترهبه وترهقه وتعذبه، وهو يتحمل كل ذلك. إنه الحب، كما يوهم نفسه، لكنه فى حقيقـة الأمـر الخوف وليس الحب. فسيسيلى ميلكر رويشلن تعرف عنه كل شـىء.

حتى قصة ليزى بلاتر فتاة الحانة (حانة الدببة) فــى الأســبوع الأول من وصوله إلى المنتجع. ليلة السبت. خرج موســى عــن صــوابه، واهتزت ألواح الخشب على الهوة إياها وارتجت، وهــوت وســقطت كلية. فمن الذى يقدر على اغتصاب فتاة وإلقاء جثتها فى الترعة. كان يتمشى فى ذلك المساء. كما أنه لم يكن اغتصابًا، بل إن ليــزى هــى التى لم تكتف، وقالت له أنها تفهم أن رجلاً فى مثل عمره لا يمكنــه أن يشبعها، فهو قد استهلك. فانقض عليها وخنقها بيديه. لم يكن حكيمًا عندما ألقاها فى الترعة. "لن تنالنى قط" قالتها وهى تــضحك لــسيمو خادم ايجلر، الذى كان يقف على الجسر، بينما كان موسى يقف على شط الترعة متوتر الأعصاب. تأمل الجثة طويلاً وهى فــى الترعــة. ابتدأت نواقيس الكنيسة تقرع فى جرينفيل ثم فى ماتن ثم تلتهــا بعــد فترة نواقيس كنيسة قرية بوبندورف. بوبندورف تتــأخر دائمًــا. ثــم سمعت أصوات نواقيس نيدرآلمن، كما يحدث فى الجنــازات. كانــت الدموع تسيل على خد موسى ميلكر، بينما تنساب مياه الترعــة فــى هدوء. لم تكن الترعة عميقة. كانت ليزى ترقد فى نتوء علــى شــط الترعة. حولها تسبح الأسماك، وأحيانًا كانت الجثة تتحــرك. توقفــت أجراس كنائس قرية جرينفيل ثم تبعتهــا أجــراس كنــائس القــرى الأخرى، ما عدا أجراس كنيسة قرية نيدرآلمن التى ما زالت تــسمع، فلقد كانت هناك صلاة لوحدة الكنائس. وعندما عاد موســى للجــسر، كان سيمو ما زال واقفًا هناك، فوقف بجواره، نظــر الاثنــان إلــى الترعة، كانت الشمس قد اختفت خلف التلال. اندفعت جثة ليزى إلــى مياه النهر الذى تصل إليه الترعة، همهم سيمو ببعض آيات الإنجيل. الآن، توقفت أيضًا أصوات أجراس كنيسة قرية نيدرآلمن، وابتــدأت

صلاة الوحدة. كان الثراء يثقل على موسى ميلكر ويضغط عليه. لقد تزوج من ايميلى لاوبر وأوتيلى رويشلن وسيسيلى رويشلن القبيحات، وليس من أنثى شهية مثيرة مثل ليزى بلاتر، التى انسابت جثتها بنعومة ويسر تحت الجسر وعيناها مفتوحتان، واختفت، ثم عادت للظهور فى التقاء فرع النهر بالفرع الآخر. كان فى الجثة شيء من السمو، صاح سيمو بحق النجوم فى السماء، وظل يتابعها بنظراته. فكر موسى فجأة فى الرجل العجوز الذى تحدث معه فى المنتجع. عاد إلى الفيلا، خلع ملابسه واندس فى الفراش بجوار سيسيلى. لقد سمحت له بذلك مرة واحدة فقط منذ عودته من مصر، كطقس من طقوس الحداد، وهى ترتدى فستان زفاف أختها أوتيل، ثم رقدت ثانية فى الفراش تدخن السيجار وتأكل الشوكولاتة وتقرأ. الآن انتقلت من روايات الجريمة إلى روايات الخيال العلمى. لقد ازداد وزنها وتشوه جسدها لدرجة، لم تعد تسمح له بمكان كاف فى الفراش. ما زالت ترتدى قمصان نوم حريرية. موسى يعرف أنها تعرف كل ما حدث. رقد بجوارها فى انتظار الشرطة. لم تأت الشرطة. ولم تأت فى اليوم التالى ولا فى اليوم الذى تلاه. لم تأت مطلقًا. منذ أسبوع نفذت الشوكولاتة التى تفضلها سيسيلى. لم يحضرها ساعى البريد فى ميعادها من مدينة برن. كان على موسى أن يقوم من الفراش ويذهب إلى القرية. ذهب واشترى اثنين كيلو من الشوكولاتة من محل حلويات بيجلر، ولاحظ أن القرية هادئة أكثر من عادتها. مستحيل يا سيدى المبشر، قالت السيدة بيجلر، لقد قبض على خادم ايجلر منذ أسبوع. لقد اعترف سيمو بفعلته. لقد قالت له ليزى أنه لن ينالها قط، فاغتصبها وخنقها ورماها فى الترعة. وعندما اقتاده شرطى القرية

إلى محطة القطار ليذهب به إلى الحجز فى برن، قفز سيمو على قضبان القطار القادم من لوتسيرن فمات فى الحال. لم يكن الشرطى العبيط قد وضع كلبشات فى يديه فلقد كان سيمو طيبًا، واعترف بكل شيء. كان الشرطى محظوظًا، فقد كان من الممكن أن يجذبه معه تحت القطار وينتهى هو الآخر. اشترى موسى كيلوين آخرين من الشوكولاتة وذهب إلى (حانة الدببة) وتناول صينية برن الشهيرة. لقد عرف الآن فائدة الثراء وأهميته. بركة الأب الكبير (ذو اللحية) ورحمته، هى التى أنقذته. لقد كان اعتراف سيمو مجرد إشارة. انه يعيش فى كنف رحمته وبركته ونعمته، يرتكب خطيئة بين الحين والآخر، حتى وان كانت أحيانًا خطيئة كبرى. التهم موسى صينية برن حتى آخرها، ثم عاد إلى الفيلا وأعطى سيسيلى كيلوات الشوكولاتة الأربعة. غدًا ستأتى الشوكولاتة من برن بكل تأكيد. قضمت قطعة ثم قالت: شوكولاتة برن أفضل بكثير، وفتحت رواية الخيال العلمى (فى فقاعة الزمن) وقالت لموسى، أنه كان من الممكن أن يحضر لها الشوكولاتة قبل أن يلتهم صينية برن.

كان فانتسنريد بطلاً من أبطال هواة الملاكمة فى الوزن الثقيل فى سويسرا، ولكنه كان يعتمد على الحظ أكثر من اللازم. فمحاولته الأولى للاحتراف، انتهت بالضربة القاضية فى الجولة الأولى، ودخل بسببها فى إغماءة استمرت شهرًا كاملاً. ومن المحتمل أن يكون قد أثر ذلك على ذكاءه، لكنه بالمقارنة بحالته قبل الإغماءة فلا يوجد فرق يذكر. كذلك محاولته أن يعمل كبلطجى لطرد الزبائن، قد فشلت تمامًا. كان يعتقد أن أى منهم يمكن أن يشتبك معه ويضربه، لذا وجد

نفسه غير قادر بتاتًا على القيام بهذه المهمة. وحتى محاولته الانخراط فى الحياة العملية فشلت فشلاً ذريعًا، استمرت عامًا كاملاً علـــى مـــا يرام، ثم قبضت الشرطة مرة واحدة على ثلاث من المومسات اللاتى كان يقودهن. فاعتكف لمدة أسبوعين، كانت الشرطة آنذاك مزعجـــة جدًا، ولم يعد أحد يود أن يعمل معه. حاول فانتسنريد أن يعمـــل فـــى مجال غير ملفت من مجالات الجريمة، فكون عصابة من المجـــرمين المبتدئين، فأجر المحترفين لا يقدر عليه. لكن الغريب فى الأمـــر، أن جميع الجرائم التى قاموا بها من سرقات وسطو على البنوك، كانـــت تنسب إليه هو، وتلصق به وحده. كان يستحيل إثبـــات ذلـــك، لكـــن الاتهام كان يوجه إليه شخصيًا، وهكذا انـــصرف عنـــه المجرمـــون الهواة، فقد كانت منحة الشئون الاجتماعية من الدولة أكثر سخاءً مما يحصلون عليه، وأعلنوا التوبة. أحكمت الشرطة قبضتها، ولـــم تعـــد زيوريخ مكانًا مناسبًا له. كان يجلس فى حالة ذهول أمـــام المحـــامين الثلاثة رافائيل ورافائيل ورافائيل. كانوا كما لو أنهم ثلاثة توائم، فـــى حوالى الثلاثين من عمرهم، تبدو عليهم السمنة، واللون البرونزى من الشمس، بياقات مفتوحة، وسلاسل ذهبية حول العنق، لكن الأدلة التى عرضت عليه، والتى تتهمه بأنه قام بعمليات سطو على بنوك وأماكن أخرى، كانت دامغة ويصعب إنكارها، رغم أنه بالفعل لم يقم بها. لقد وشى به شخص ما. واجبهم أن يحيطوه علمًا، وأن يبلغوا عنه، قـــال الأول. اثنتا عشر سنة سجن، أردف الثانى. لكن هناك مخـــرج، أكـــد الثالث. وظيفة ثابتة، قال الأول. حارس ليلـــى، أردف الثـــانى. فـــى منتجع، قال الثالث. هز فانتسنريد رأسه موافقًا. أشـــعل كـــل مـــنهم سيجارًا ضخمًا. من هذه اللحظة ولا كلمة، قال الأول. مع أى شخص

كان، أردف الثانى، ونفث حلقات الدخان فى الهواء. هذا وإلا، أكد الثالث وأطفأ عود الكبريت. هز فانتسنريد رأسه موافقًا. أصبح ضروريًا أن يذهب إلى مستشفى خاص فى مقاطعة تيسين، فوجهه معروف جيدًا عند الشرطة.

أخذ موسى ميلكر طائرة الخطوط الجوية السويسرية (سويس اير) إلى نيويورك، بناء على دعوة غير مقروءة بشكل واضح، مرفق معها شيك قابل للدفع من بنك خاص بنيويورك، وذلك لإلقاء محاضرة لصالح جمعية أهلية فخمة أغلب أعضاءها من النساء الأرامل، وبشكل أدق لإلقاء درس دينى عن "تعاسة نعمة الأغنياء ونعمة تعاسة الفقراء". كان النجاح ساحقًا. أعقب المحاضرة عشاء فاخر على شرفه، تحدث فيه مع الأرامل بطلاقة ولباقة وحماس. بعد ذلك تنقل بالطائرة فى طول القارة وعرضها، من مدينة إلى مدينة ومن منطقة إلى منطقة. لم يكن يعرف حتى هذه اللحظة من الذى أرسل إليه الدعوة. كانت الطائرة بلا نوافذ، وكان من الصعب رؤية المضيفة، التى ناولته كأس شمبانيا بمجرد صعوده إلى الطائرة مباشرة، شربه قبل أن يجلس، جلس وربط الحزام، ثم استغرق فى النوم. عندما استيقظ، استقبلته امرأة ورافقته حتى الخروج من الطائرة، ثم إلى المحاضرة، ثم إلى الفندق، وفى صباح اليوم التالى إلى الطائرة ثانية. لقد استقبلته سيدات عديدات، لكنه لم يعد يتذكر ملامحهن. فى أحد الفنادق بسانتا مونيكا (على فرض أنها سانتا مونيكا) خلع ملابسه وهو مرهق من طعام العشاء الوفير، جلس على السرير وخلع حذاءه. أجال ببصره فى الغرفة، فوجد رجلاً يرتدى حلة بيضاء يجلس فى

مواجهته، كان شعره فاحم السواد، بشكل لا يتلاءم مع وجهه العجوز. كان كل شيء فيه لا يتلاءم مع هذا الوجه العجوز، الأيدى الشابة، جسده الرشيق، جسدها الرشيق تلك المرأة التى تجلس على الكنبة والتى تعرف عليها موسى فى الحال. لم يكن وجهها عجوزًا هى الأخرى، لكنه كان جميلاً، من ذلك النوع الذى لا يشى بعمره: لقد كانت هى المرأة التى ودعها أمام الفندق، بكل سحرها. اسمى أوريل، وقدمت لموسى ساعة جيب. من عميلى، قالت له. تأمل موسى الساعة. كان لها مؤشرًا واحدًا، وعليها واحد وستون رقمًا. وكان المؤشر يشير إلى ما بعد الثامنة والخمسين بقليل. "ساعة لك يا موسى" قالت المرأة. فكر موسى ثم قال "إننى أكبر من الثامنة والخمسين قليلا". قالت ضاحكة "أرأيت، إنها ساعتك". قال لها موسى، أنه يهمه أن يعرف، من هو عميلها هذا، الذى أهداه تلك الساعة العجيبة. فأجابته أن لها عميل واحد، إنه صاحب الطائرة. سوف يطلب منى قريبًا ساعات بساعات مائة، وساعات بدقائق مائة، ودقائق بثوان مائة، وسوف يطلب أيضا ساعات بخمسة عشر ساعة فقط، فى كل ساعة ثلاثمائة دقيقة، فى كل دقيقة خمسة وأربعون ثانية، لكن الثوانى ليست متساوية، بعض الثوانى٣,٢٥ ثانية، وبعضها ٧ دقائق بطولها، لقد قامت ذات مرة بتصميم ساعة كان فيها اليوم بألف سنة، وهى لا تعرف إن كان عميلها يمتلك ساعة عادية أم لا، فهذا لا يعنيها، فالعميل عميل، وهو عميلها الوحيد. مرة ثانية يعود موسى للرجل الذى يجلس أمامه، بجسده الشاب ووجهه العجوز، وعندما رافقته المرأة فى الصباح الباكر من اليوم التالى إلى الطائرة، اكتشف أنه نسى كل ما حدث، كما نسى الساعة التى كانت تدق داخل إحدى

حقائبه. هذه المرأة يعرفها بشكل أو بآخر، مؤكد.

دائمًا تفشل الأشياء مع كريهنبول. أفلس فندق الجراند هوتيل فى هابكرن، مع أن هذا لا يقارن بالكارثة التي حدثت فى الكاريبى. أخبره مقاول من بلدياته، يقوم بإنشاء بنايات عدة، أن فندق المائة شاليه بإحدى الجزر البعيدة العذراء، يبحث عن مدير للفندق، لم يتمكن من مقابلة أحد، ولم يصل إلى نتيجة. فندق (سانشوبانزا) فى جامايكا أصابه الإفلاس، ولا داعى لذكر فندق (جنرال سوتر) فى سان فرانسيسكو. وهكذا ظل كريهنبول فى منطقة الكاريبى كما لو أنه فى مصيدة للفئران. أما الأمريكان فقد طال انتظارهم ولم يأت أحد منهم، فمن الذى يرغب فى قضاء أجازته على تلك الجزيرة، التى يتزايد فيها عدد الزنوج باستمرار، فمنذ أن رحلت المجموعة الأخيرة، لم تسجل أية رحلة سياحية جديدة. كان نوعًا من سوء الحظ، أن تسقط ثمرة جوزة الهند على رأس مدير بنك ميامى، بينما كان يأخذ تعسيلة تحت شجرة جوز الهند على حافة حمام السباحة. بضربة بلطة قوية، أطاح الصبى بالثمرة من على غصن الشجرة، لكنه من المؤكد، أنه لم يكن يقصد ذلك. ورغم كل شىء، شارك كريهنبول فى مراسم الجنازة والدفن بميامى، لكن أرملة مدير البنك قد تجنبت مواجهته وتقبل عزاءه، فى حضور أهم رجال البنوك فى الولايات المتحدة الأمريكية ومن يومها ظلت الشاليهات خاوية، إلا من الضفادع الضخمة التى تتقافز فى الليل حول ضوء اللمبات المعلقة أمام الأبواب، عشرة ضفادع حول كل لمبة. ثم جاء المالك الجديد من مانهاتن معلنًا شروطه. يجب أن تبنى مدفأة فى أحد الشاليهات. جاء مع حاشيته

أثناء الليل. واندفع الرجال يقفزون فى حمام السباحة وهم يرمون بالضفادع فى الماء. أخيرًا ظهر. أمام المدفأة التى يطقطق فيها الخشب المشتعل، يجلس رجل يصعب رؤيته من الدخان الذى يملأ الشاليه، له عيون مائلة، وعظام فك قوية، يغطى وجهه الهباب، وخيوط من الشعر الأسود الفاحم تخترق صلعته، يرتدى روب حمام كان أبيض قبل تلوثه بالهباب من يديه، التى طبعت عليه آثارًا سوداء. قدم أحدهم ورقة لكريهنبول لكى يقرأها. كتب فيها: أن الصبى الذى تسلق شجرة جوز الهند، كان مكلفًا بقتل مدير البنك من قبل كريهنبول. ثم أشار الرجل المهبب إلى طاولة بجوار النافذة المهببة عليها كومة من الأكياس البيضاء يغطيها الهباب. بعض من تلك الأكياس البيضاء، كانت ملقاة على الأرض "كوكايين" قال الرجل المهبب "وجدناه فى شاليهك". أكد كريهنبول أن لا دخل له بالموضوع، وأنه برىء تمامًا. قال الرجل الذى تصعب رؤيته خلال الدخان الكثيف، أنه يعرف أن لا دخل له بالموضوع، وأنه برىء تمامًا، لكن براءته يستحيل إثباتها، فقد اعترف الصبى بذلك، ولو تراجع الآن، فستنقص الرؤوس رأسًا بكل تأكيد. سىء الحظ دائمًا كريهنبول سىء الحظ. على طول الخط سىء الحظ. صمت الرجل المهبب، ورأى كريهنبول أنه ضائع فقبل الصفقة.

عاد موسى ميلكر فى نهاية شهر مارس بطائرة مروحية ذات أربعة موتورات تابعة للخطوط الجوية السويسرية (سويس اير) بالدرجة الأولى، كان يجلس بجوار النافذة، غفا قليلاً بعد العشاء الفاخر، نظر من النافذة، رأى فى البعيد جرونلاند بين جبال الجليد،

كما لو أنها لعبة أطفال على شكل مركب. لاحظ موسى فجأة، أن بجواره يرقد شخص فى مقعده بعد أن دفعه إلى الخلف، رجل طويل نحيف يرتدى حلة انجليزية، وأصلع تمامًا، يضع على عينيه نظارة نصفية بإطار ذهبى ويكتب من اليمين لليسار فى دفتر صغير. "وجهك ليس غريبًا على" قال الغريب "انه مثير بشكل ملفت. وجهك يسحرنى. من المؤكد أن تأثيرك الجنسى مذهل على النساء. هل يمكن أن نتبادل الوجوه؟ يمكننا فعلا القيام بذلك، فى المستشفى الخاص التى أملكها فى سترادا ديللا كولينا فى آسكونا. إننى أجد وجهى مملاً. لا يثير النساء كوجهك يا سيد ميلكر. "هل تعرفنى؟" سأله موسى ميلكر مستغربًا. "لحد ما" أجاب الغريب وواصل "أنت عائد من رحلة موفقة، ألقيت فيها بعض المحاضرات. ولو أن إنجليزيتك كانت قديمة. ما هو مصدر محاضراتك؟ من أين أتيت بها؟" إنه يحفظ كتاب "رحلة الحج" لبونيانس عن ظهر قلب، قالها موسى بفخر. "عن ظهر قلب! مدهش!" تعجب الغريب "رحلة الحج لبونيانس؟ أنصحك بأن تقرأ أيضًا هاسميث وآمبلر وهامت. أو فلتقرأ روايات الخيال العلمى مع زوجتك سيسيلى". إنها لا تقرأ سوى الألمانية"، قال موسى، متعجبًا من أنه يعرف حتى اسم زوجته. "والآن، ما رأيك فى فكرة تبادل الوجوه؟" سأله الغريب. عرض على موسى مائة ألف مقابل وجهه. العملية بلا مقابل. سيقوم بها بنفسه، حتى يضمن دقتها. وفى نفس الوقت، سيجرى العملية لنفسه أيضًا. سوف يجلس كل منهما ملتصقين على مقعدين متجاورين فى غرفة العمليات. لقد تخيلها هكذا، أن يضع الرأس فى مواجهة الرأس، الصدغ على الصدغ، يمكنه أن يستخدم

يديه الاثنتين بمهارة. يمكنه أن يجرى العمليتين فى نفس الوقت، لــو وافق موسى ميلكر، يمكننا أن نقوم بالعمل كله، بمستشفى الجامعة فى زيوريخ، حتى يتعلم الطلاب شيئًا جديدًا.

"لا شكرًا. أريد أن أحتفظ بوجهى" أجاب موسى. "هناك خطــورة أن تنفجر طاقتك الجنسية يا سيد ميلكر" قال الغريــب "مثلمــا حــدث مؤخرًا مع ليزى بلاتر. ألم يكن هذا هو اسمها، الفتاة التــى جرفــت جثتها مياه نهر الجرين؟ وعيناها مفتوحتان". نظر موسى من النافــذة. "اسمى ميكائيل" قال الغريب. لم يعد هناك جبال جليــد، ولا مراكــب أطفال، وحتى جرونلاند لم يعد من الممكن رؤيتها. فقط سماء فى كل اتجاه. فجأة صار المقعد بجوار موسى خاليًا، وعندما عاد فى وقــت متأخر من الليل إلى قرية جرينفيل لاحظ أن هناك ضوء فــى غرفــة النوم. سيسيلى راقدة فى فراش الزوجيــة مرتديــة قمــيص نومهــا الحريرى، تدخن السيجار، تقرأ رواية بوليسية وتأكل شوكولاته. جبل الهمالايا من الشحم واللحم "تعالى يا قردى" قالت لــه "انزلــق تحــت الغطاء وصلّ للأب الكبير أن لا أنقلب عليك أثناء النوم، وأرسلك إلى متع الحياة الأخرى".

تلقى أحد نواب مجلس الشيوخ خطابًا من أحد المحامين بعاصمة المقاطعة، يخبره فيه بأن الجمعية السويسرية للأخلاق قد قامت بشراء المنتجع بشروط ميسرة، كما قامت بتأجيره خلال فصل الصيف فــى الفترة بين ١٥ مايو إلى ١٥ أكتوبر إلى موسى ميلكر، وخلال فــصل الشتاء إلى الكونت فون كوكسن. لقد نسى نائــب مجلــس الــشيوخ، بذاكرته المحملة فوق طاقتها، أنه هــو نفــسه رئــيس مجلــس إدارة

الجمعية السويسرية للأخلاق، كما نسى أنه توجد جمعية بهذا الاسم أصلاً، قرأ الخطاب وهو يهز رأسه، ثم وضعه جانبًا ونسى الموضوع. وهكذا كان هناك وقت كاف، حتى يقوم شارع مينرفا ٣٣ بدراسة الموضوع والاستعداد له. صدر الأمر لكريهنبول بأن يذهب للمنتجع، تجول فى ممرات الحديقة وهو يهز رأسه متعجبًا. فى مواجهة المنتجع يمتد مبنى ملحق كبير على حافة الغابة، حيث يوجد فى البدروم غرفة الغسيل وأجهزة التدفئة المركزية، بينما توجد فى الدور الأرضى عيادة الطبيب الخاص للمنتجع، وغرف التدليك والساونا وحمامات الطين، أما فى الطابق الأول والثانى، فتوجد غرف النزلاء الأقل ثراء. يتصل هذا الملحق بالمنتجع عن طريق سرداب سرى تحت الأرض. أمام الملحق، يوجد ميدان به كشك للموسيقى، يعزف فيه الموسيقيون التشيك الثلاثة فى أمسيات الصيف الدافئة، حيث تنساب الموسيقى إلى القاعة حتى يمكن أن يسمعها الأب الكبير. لقد قام كريهنبول بتأثيث المنتجع بمساعدة كائنين سمينين من لشتنشتاين فى هدوء، لم يلحظهم أحد من أهل القرية. أغلقوا الأبواب، ونقلوا الأرائك والكراسى الهزازة والأسرة الفاخرة عن طريق السرداب السرى تحت الأرض. قامت شركة دعاية من بازل، بتصميم بوستر كبير من ورق لامع كتب عليه (الفرح والسعادة من خلال الفقر). فى بداية شهر مايو، وصل موسى ميلكر خطاب يخبره بأن رغبته فى إنشاء منتجع لاستجمام أصحاب الملايين قد قام بتحقيقها أتباعه وحوارييه، وأن المنتجع سوف يفتتح فى ١٥ مايو، وأن حضوره أساسى لا غنى عنه. وعليه ألا يشغل باله بالعمليات التنظيمية، وأن يركز اهتمامه على مهمته الروحية فقط، ويترك الباقى

للجمعية. لو أن موسى لم يقابل أوريل فى سانتا مونيكا (على فرض أنها سانتا مونيكا) ولم يدر هذا الحديث الغريب مع ميكائيل فى الطائرة عند عودته من الولايات المتحدة، لتأزم الوضع، ولاعتقد أنه قد وقع فى شبكة ليست شريرة تمامًا، لكنها طبيعة الأب الكبير (على فرض أنه الأب الكبير) أن ينسج مثل هذه الشباك، فهو ينسجها بغريزته، مثلما ينسج العنكبوت شباكه، دون أن يفكر فى صيد ذبابة معينة، بل أية ذبابة، ومن طبيعة موسى أن يسقط فى الفخ، مثلما يسقط الذباب، على سبيل الصدفة أو على سبيل الضرورة، مجرد وجهة نظر فلسفية تتعلق بالعقيدة التى لا يمكن إثباتها. وصل موسى وزوجته سيسيلى إلى المنتجع يوم ١٣ مايو. أدهشه إصرار زوجته على مصاحبته. لقد كانت عملية الانتقال مشكلة، فقد فضل موسى أن يسافر بالسيارة الرولز رويس على سبيل الوفاء لزوجته الأولى ايميلى لاوبر. كانت السيارة موديلاً قديمًا. وكان يمكن دخولها دون أن ينحنى الراكب، فعندما يفتح باب السيارة الأيمن، تبرز سلمتان فى اتجاه الراكب. أطنان الشوكولاتة التى أكلتها سيسيلى طوال حياتها، جعلت من صعودها إلى الرولز رويس مشكلة حقا، لكنها بطريقة أو بأخرى دخلت السيارة بصعوبة. كان أوجوست، ابن مسئول الجراج فى جرينفيل، يقود السيارة، بينما يجلس موسى بجواره، فلا مكان له بالخلف بجوار سيسيلى. ابتدأت الرحلة فى الثامنة صباحًا من جرينفيل، سار كل شىء على ما يرام حتى قرية مايرنجن، بعدها كانت الطرق الضيقة مشكلة بالنسبة للسيارة الرولز رويس. وصلوا فى الخامسة بعد الظهر وهم فى أشد حالات الإرهاق والتعب. كان هناك أمام مبنى الملحق، رجل يتمشى، مرتديًا أوفرول. هل هناك من

أحد، تسائل موسى، "أنا" رد الرجل ونظـر إلـى الرولـز رويـس بارتياب. أنا موسى ميلكر، قدم نفسه وهو ينزل من الـسيارة. "هـذا واضح" قال الرجل. هل وصلنا؟ تسائلت سيسيلى بصوت غير مفهوم، فقد كان فمها مليئًا بالشوكولاتة المحشوة بالكرز. "وصلنا" أكد موسى. أين البواب وأين حاملو الحقائب؟ تسائلت سيسيلى. لا يوجد بواب ولا يوجد حاملو حقائب، أجاب الرجل. "لكن كيف؟" سأله موسى متعجبًا. أنتم هنا فى "بيت الفقر" أوضح الرجل. هذا هو الاسم الجديد للمنتجـع حاليًا. لقد دشنته شركة الدعاية من بازل بهذا الاسم. احـتج موسـى ميلكر قائلاً، بعد غد سيكون المنتجع، "بيت الفقـر" قاطعـه الرجـل مصححًا. انفتح باب بيت الفقر، ودخل موسى بالسيارة. لقـد سـجلت أسماء الكثير من النزلاء، أكثر مما كان متوقعًا. نحـن فـى حاجـة لمستخدمين، مستخدمين كثيرين، خدم وعمال. من قام بهـذا التنظـيم السىء؟ الجمعية السويسرية للأخلاق، أجاب الرجل. ليس مـن حـق الجمعية أن تتدخل هنا، اعترض موسى. إنها هى التى تعطى الأوامر هنا، قال الرجل فهو موظف يعمل عندها، كذلك موسى ميلكر أيضًا. ماذا يحدث هنا، متى سنذهب أخيرًا إلى البـرج الـشرقى، احتجـت سيسيلى من داخل الرولز رويس، أين الـشيالون؟ البـرج الـشرقى ممنوع الدخول فيه بتاتًا وممنوع تأجيره لأحد، قال الرجل. يمكن لكما أن تسكنا فى البرج الغربى. من قام بتنظيم ذلك؟ ومن أعطـى هـذه الأوامر؟ تسائلت سيسيلى. الجمعية السويـسرية للأخـلاق، أجـاب الرجل. هنا أعطت سيسيلى الأمر لأوجوست، بأن يعـود بهـا إلـى جرينفيل فورًا وفى الحال. أخرج أوجوست حقيبة موسى من شـنطة السيارة وانطلق عائدًا مع سيسيلى. الآن، ليس أمامه سوى أن ينجـز

كل شيء وحده من غير زوجته، تنهد موسى. "تشجع يا رجل" قال له الرجل "من تكون بالضبط؟" تسائل موسى "كريهنبول مدير المنتجع" قال الرجل ودلف داخل مبنى الملحق. كان على موسى أن يحمل حقيبته للمنتجع بنفسه. كان المصعد معطلاً، وكانت الحقيبة ثقيلة. كانت معه مخطوطة "ثمن النعمة"، التى ما زالت تحتاج لبعض التنقيح. وأخيرًا وصل إلى الطابق الأخير، عندئذ سمع أصوات غناء صادر من البرج الشرقى. حمل حقيبته بعناد مفاجيء وغير مبرر حتى البرج الشرقى وفتح الأبواب ودخل. حول أحد الطاولات، يجلس ثلاثة أحبار من رجال الدين. الثلاثة يلبسون قبعات سوداء، ويضعون على عيونهم نظارات شمسية، ويرتدون قفاطين سوداء ومنهمكين فى الغناء. الحبر الذى يجلس فى الوسط له لحية بيضاء، بينما الحبر الذى يجلس عن يمينه له لحية حمراء، أما الحبر الذى يجلس عن يساره فله لحية سوداء. وكانت اللحى الثلاث كثة كثيفة شعثاء غير مشذبة. خلفهم هناك نافذة. جلس موسى على حقيبته ينصت لغناء الأحبار الثلاثة. توقفوا عن الغناء فجأة. خلع الحبر ذو اللحية البيضاء الشعثاء نظارته الشمسية بينما ظلت عيناه مغلقة. لاحظ موسى ميلكر أنه تجاهل التعليمات بعدم الدخول إلى البرج الشرقى، وأن هذا ليس من حقه. "معذرة" همهم موسى. لقد سبب له عدم وجود الخدم ارتباكًا واضحًا. "ارتباك؟" تعجب الحبر ذو اللحية الحمراء الشعثاء وخلع نظارته الشمسية دون أن يفتح عينيه. كان موسى يود أن يقيم للأثرياء مكانًا للصلاة وإقامة الشعائر والعزاء، لذلك يحتاج لمستخدمين! يحتاج بالفعل لخدم كثيرين، يجب أن تتفهموا ذلك، أكد موسى وهو فى حالة شديدة من الاضطراب. إن إقامة مكان للعبادة والصلاة عملية تحتاج

إلى تنظيم. "أنت أيها المؤمن الصغير" قال الحبر الثالث ذو اللحية السوداء الشعثاء، خلع نظارته الشمسية السوداء، ولم يكن هناك عينان، بل تجويفان فارغان لا غير. فى "بيت الفقر" سوف يقوم الأثرياء بدور الخدم. انتفض موسى ميلكر مفزوعًا وجرى حاملاً حقيبته الثقيلة إلى البرج الغربى.

كان أغلب النزلاء قادمين من الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت الأغلبية من النساء الأرامل تقودهن أرملة رئيس دولة. لكن أوروبا أيضًا، كانت بالطبع ممثلة: ليس بأرامل فقط، ولكن برجال الصناعة الكبار، وأصحاب البنوك الخاصة، وكبار المديرين، والمستثمرين وكبار رجال البورصة، ومضاربى البورصة، وكبار الملاك العقاريين.. الخ. بعد وصولهم، وقف الجميع فى الميدان أمام المنتجع، فى الجو الردىء بجوار حقائبهم، متجمعين فى كشك الموسيقى وهم فى حالة من الدهشة، كانوا كثيرى العدد، فوج حجاج من المليارديرات الثقال، متشوقين لمغامرة جديدة، بينما وقف سائقو التاكسيات والسيارات الخاصة الفاخرة التى جاءوا بها، فى طابور طويل يمتد فى اتجاه الوادى. يسيطر على الجميع قلق واضح لعدم ظهور شيالين ليحملوا الحقائب. أخيرًا ظهر موسى ميلكر أمام بوابة المنتجع. حط الصمت على الجميع. كان موسى ميلكر متحدثًا متمرسًا قادرًا على الإقناع. وابتدأ موعظته منطلقًا من كلمات السيد المسيح، من ملخص الأناجيل الثلاثة، التى تقول: أسهل على الجمل أن يمر من سم الإبرة على أن يدخل أحد الأثرياء جنة الرب. وعندما سئل السيد المسيح من أحد حوارييه المذعورين: ومن إذن سيباركه الرب؟

أجابه بأن ذلك سيكون مستحيلاً مع مثل هؤلاء، لكن كل شىء ممكن عند الرب، فهو القادر على كل شىء. واستطرد موسى، مبارك هم الفقراء فى الروح، فالجنة مثواهم. فقراء فى زوح من؟ فى روح الأب الكبير فى السماء (يقصد الرب ذو اللحية) ساعتها لن تحل عليهم النعمة والبركات، ويصيرون تعساء. لا، مبارك هم الفقراء فى روح الإنسان، أقصد الفقراء، فروح الإنسان هى النقود Pecunia باللاتينية، أصلها Pecus أى الماشية. النقود حيوانية. من المقايضة، حيوان مقابل حيوان، جمل مقابل جمل، أصبحت: حيوان مقابل نقود، جمل مقابل نقود، قيمة مقابل قيمة. الإنسان يقيم بالنقود. لذلك يرتكز كل ما يفعله الإنسان على النقود، ثقافته ومدنيته، ما يفعله بواسطة النقود وعن طريق النقود، الجيد والردىء، دورة رأس المال الشرسة من أجل الخبز للأخوة، ومن أجل ما يحتاجه الأخوة، ما يكسينا، وما يعرينا، بقيم الحياة وبدون قيم الحياة، بالدائم وبالزائل، بالضرورى وبالثانوى، بالفن وبالمبتذل، بالسينماتوجرافيا وبالبورنوجرافيا، بالحب وبالحب المشترى، باطل باطل. الكل باطل هذه هى أعمال البشر وهى لا تدخل فى مجال أعمال الأب الكبير. فالفقير الذى لا يملك شيئًا، يمتلك الجنة فى مملكة الرب، أما الغنى الذى يمتلك الأشياء، فلا يمتلك شيئًا فى مملكة الرب، فالملكية ترهق روحه، وهو مثقل بما يحمل من ممتلكات، فكل ملكية عبء، عبء ثقيل، سواء كان رأسمال أو ثقافة. لذلك ترك الشاب الغنى السيد المسيح وهو متكدر، فلقد كان يمتلك الكثير. متكدر فعلاً! كم كان يود أن يكون فقيرًا، كم كان يود أن يبيع كل شىء ويعطيه للفقراء، كما أوصاه السيد المسيح، ولكن

ماذا سيحقق ذلك؟ سيبدد الفقراء بحماقتهم كل الممتلكات، ويعودون فقراء كما كانوا. فالذى يخصه ملكوت السماء، لن يلقى به الأب الكبير فى الجحيم. لكن ماذا عن الشاب الغنى؟ سيصير فقيرًا مفلسًا، محطمًا مدمرًا، هالكًا لا محالة، ولن يصل إلى ملكوت السماء، فتدميره ليس فى نية الأب الكبير، لكنه فى عقل الشاب نفسه، فى عقل بنى آدم. وهكذا يتحايل على مصيره – عن قصد – ليصير غنيًا. لقد نصحه السيد المسيح بأن يحاول، فالمسيح نفسه كان يحاول، فقد كان يتجول فى أردية مهلهلة، ليس الشيطان وحده، لذلك تدعو المسيحية الرب بأن: لا تدخلنا فى تجربة! لقد قاوم الشاب الغنى الدخول فى تجربة أن يكون فقيرًا، وأن يصير متشردًا صعلوكًا، وأن يرتدى ملابس مهلهلة مثل السيد المسيح، وبهذا المعنى يكون الثراء هو صليب المسيحيين، وسببًا للحزن والكدر، بينما يكون الفرح والبهجة من نصيب الفقراء والمساكين، المسيحية!! قالها متحسرًا. تماسك موسى ميلكر، ثم ركع على ركبتيه، الهدوء يسود الميدان، قطعه نباح كلب من ناحية القرية. ثم ساد الهدوء ثانية. نظر موسى إلى الجموع، إلى ملاك المحلات التجارية العملاقة، وملاك وسائل الإعلام، وملاك المصانع، وملاك البنوك، وملاك العقارات، وملاك سلاسل الفنادق العالمية، نظر إلى كل الملاك الذين تجمعوا أمامه ونظروا إليه.

قال موسى هامسًا: "تعالوا إلى هنا، كلكم، أنتم أصحاب الأرواح المتعبة، المثقلين، أريد أن أقول لكم شيئًا ينعشكم" وسمع الجميع همساته. هذا غير ممكن بالنسبة لبنى آدم، لكنه ممكن عند الأب الكبير، فهو القادر على كل شيء. نظر إليه مأمون إله المال بغضب

وقال صارخًا، ليس الأب الكبير، واندفع عاليًا. من أين لهم كل هـذا الثراء وما هو مصدره، المال الذى يكتنزونه ويحيط بهـم مـن كـل الجهات ويضغط عليهم، تكلم، تحدث، ألقى موعظـة، بـأداء بـارد وبشكل متقطع يدعو للملل، هذا التيار القوى الذى جرفهم جميعًا فـى طريقه وأغرقهم، الذهب، العملة النقديـة، الأمـوال القـذرة، حـزم السندات، الإتاوات، الرشاوى، القروض، أرقام الحسابات، الـديون – من أية مصادر واضحة أو مستترة، من أية تعاملات دموية أو غيـر دموية، من أية أمهات فاضلات أو فاسقات، من أية أساليب مشروعة أو غير مشروعة، بصرف النظر أيا كان المـصدر الـذى ينـساب ويتدفق ويندفع فيه، فهو خفيف الوزن، مجرد فضلات، زبالة، طـين المستنقعات تلقى فى وجه الأب الكبير. وعندما يتخلصون مـن هـذه القاذورات، يكونون فى أمان. وعندما يكون الفساد مطلقًا، تحل عليهم الرحمة، هذا هو المستحيل، الذى هو ممكن فقط عند الأب الكبير، فهم لا يستحقون شيئًا، لكنهم يستحقون الرحمة، عندئـذ تـصير الرحمـة أجرًا. الرحمة هى سم الإبرة الذى لا يفوت الجمل وحده، بل يفـوت كل شىء، يقوم به المتجمعون هنا، الذين يئنون مـن لعنـة الثـراء. رحمة الأب الكبير تشمل الجميع، فيصير الأواخر أوائـل، والفقـراء أغنياء، يشمل الفقراء برحمته، ويصب لعناته على الأغنياء. والـذى تشمله النعمة، لا يحتاج إليها، فهو فى كنفها، وهكذا تذهب النعمة إلى الأغنياء الملعونين، النعمة التى تتوجهم، كما لو أنهم وحدهم – حثالـة البشرية – هم الذين يستحقونها.

"أهلا بكم فى بيت الفقر" وختم موسى ميلكر خطبته.

تدريجيًا، استوعبوا أنه لا يوجد خدم فى المنتجع، وعليهم أن يساعدوا أنفسهم بأنفسهم، واندفعوا فى ممارسة الفقر. تلكئوا فى البداية، ثم ابتدأ كل منهم يساعد الآخر، فحملوا الحقائب، ووزعوا الغرف، مسترشدين بتوجيهات ونصائح موسى ميلكر، الذى كان مرتبكًا مثلهم، كانوا ينظمون أنفسهم تحت قيادة فيلد مارشال إنجليزى فاحش الثراء تبدو عليه البلادة. اتصل تليفونيًا برئيس القسم العسكرى بالمقاطعة، الذى اتصل بدوره برئيس عموم المقاطعة، فى اليوم التالى كان هناك سيارتان نقل محملتان بالأشياء اللازمة، ثم اكتفى بسيارة نقل واحدة يوميًا. لقد غسل الاهتمام بالصحة الهموم الروحية، واستغنى عن طبيب المنتجع، الذى كان يهتم بالنزلاء أثناء فترة الصيف، واستخدمت المياه المعدنية كمياه للشرب – كرمز للفقر – بدلاً من شرب النبيذ. وسيطر على الجميع ولع غريب، بأن يعيشوا حياة الفقراء، المليونيرات وأرامل المليونيرات، قام كبار المديرين بترتيب الأسرَّة، وكبار رجال البنوك بتنظيف الحجرات، وكبار رجال الصناعة بترتيب الموائد فى قاعة الطعام، وانهمك المديرون الكبار بتقشير البطاطس، أما أرامل المليونيرات فقد قمن بالطبخ والغسل، كما قام المشايخ أمراء النفط بالاهتمام بالحديقة، وتنظيف الحشائش، وعزق الأرض، والنشر والدق والدهان، مقابل أسعار فاحشة. لكن ذلك لم يمر بسهولة، فقد قام النزلاء فى واقع الأمر بالأعمال التى كان يقوم بها عادة أهل القرية، كانوا يمارسون العمل وهم يبتسمون ويضحكون ويقهقهون، خسارة حقيقية، ألاّ يكون المنتجع والقرية وحدة اقتصادية واحدة. ولقد جلبت تعاليم موسى ميلكر ودروسه، التى كان يلقيها عليهم صباح مساء، جلبت الحظ للمنتجع وحده وليس

للقرية، فانتعشت أعمال المليونيرات، وتوقفت مصالح القرية، وصار أهلها عاطلين عن العمل. فالرغبة العارمة فى معايشة الفقر، المرتبطة بأقل التكاليف، تسببت فى توقف العمل فى مخابز القرية، فبدلاً من صنع الخبز المخصوص بأنواعه والمعجنات والكرواسون وخلافه، والكعك والتورتات والحلويات، اكتفت المخابز بالخبز البسيط العادى، وأصبحت قاعات الشاى التابعة لها خاوية من الزبائن. وتوقفت حركة التاكسيات، كما توقفت المركبات الداخلية، التى كانت تقل النزلاء إلى المنتجعات الأخرى بالمقاطعة. لم يعد أحد يشترى دواليب الفلاحين ولا الطاولات ولا المقاعد، ولا قرون الأيائل الكبيرة أو الصغيرة، فالذى يريد أن يعيش حياة الفقراء، عليه أن لا يبدد النقود. لقد دمر اقتصاد القرية تمامًا.

وفى ١٥ أكتوبر أغلق المنتجع أبوابه. وعاد النزلاء منكسرين إلى منازلهم، مضطرين إلى أن يتحملوا ثانية عبء الثراء، بعد أن تزودوا بصلابة حياة الفقر وخشونتها، التى استمتعوا بها أيما استمتاع. أما فى فصل الشتاء فليس هناك ما تبحث عنه القرية فى المنتجع. من قبل، كان حارس المنتجع رجلاً من رجال القرية، كان الأطفال يلعبون فى القاعة ويجرون فى الممرات، وكان الرجال يتفرجون على أنواع النبيذ المختلفة فى البدروم حتى وقت قريب، الآن جاء رجل كالثور، له وجه جامد كريه وأخذ مكانه وأصبح هو الحارس، يتحدث الألمانية بلكنة أهل زيوريخ، ويطرد كل من تسول له نفسه أن يقترب من المنتجع، فقد كان لمجلس اتحاد الجمعية السويسرية للأخلاق أسباب أخرى، دفعتهم لتأجير هذا المنتجع. كان

بعض الأعضاء يأتون أحيانًا للمنتجع. لم يشكل ذلك مشكلة من قبل، فمن تبحث عنه الشرطة، يمكنه أن يختفى هناك. فمن يتبع رجلاً جاء من ولاية هيدسون، أو ايست ريفر، أو من بحيرة ميتشجان أو من المحيط الهادى حتى هذا المكان؟ كان مجلس الإدارة واضحًا لا يتردد، ولقد كانت أساليبه مفزعة، فكبار المجرمين المحترفين من الدرجة الأولى، أصبحوا الآن عملة نادرة، والعمل مع الهواة يفقد السمعة ويربك منظومة المعاملات المالية، لذا يعتبر هذا المنتجع فرصة نموذجية لا تتكرر. انتظر مجلس الإدارة إلى أن يمر موسم الشتاء، فأغلق المنتجع، وصار مأوى للمجرمين المطلوبين من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية FBI، وزعوا الغرف والأجنحة على القتلة المحترفين والمتخصصين فى خطف الأطفال، التى كان الأثرياء يمارسون فيها صلواتهم أثناء موسم الصيف. وبعد سيطرة بهجة الفقر على المكان، ران الهدوء والوخم على القاعات. كان مجلس الإدارة يعرف الديون التى عليه، لكنه لم يتوقع قط مجىء الكونت فون كوكسن. كان فون كوكسن يعلم بكل ما يدور، لكنه كان محاطًا بكنوزه الفنية وبمجموعة من الكتاب، الذين كانوا يأتون خصيصًا من سانت جاللين بل ومن زيوريخ إلى مائدته السخية الممتدة دائمًا، وقد كان يورد للمنتجع كتبًا فى الفن والكلاسيكيات الأدبية. كان رجال المافيا فى حالة عجز تام، وهم يقلبون فى "الكوميديا الإلهية" و"رولاند السريع" أو "المخطوبان" فهم بالكاد يعرفون الايطالية. وقد قام مجرمون ايرلنديون بإطفاء سيجارهم فى كتاب "عطلة فينيجان"، بل لقد حاول بصعوبة نصابون عالميون من

الساحل الغربى التهجى فى أعمال شيكسبير وفى "الجنـــة المفقـــودة". وهكذا، جلس عتاة المجرمين متكئين فى مقاعدهم يمرحون ويهزرون ويلقون بعضهم بعضًا بمجلدات الكلاسيكيات الأدبية. فـــالخروج مـــن المنتجع ممنوع منعًا باتًا، فمن غير المسموح أن يراهم أحد، كمـــا أن المنتجع رسميًا مغلق. وهكذا كان الملل يقتلهم، حيث لم يدخل إرســـال التليفزيون بعد فى وادى الفوضى. فقط، نحيب عواصف الشتاء، التى تنبىء بسقوط الجليد، يعقبها صمت الليل الرهيب، ثم سقوط الجليـــد، يعقبه الصمت الرهيب. كانوا يجلسون فى القاعـــة المغلقـــة النوافـــذ، يقتلون الوقت بلعب الورق واحتساء الخمور والتدخين.

فى الصيف عاد الأثرياء ثانية، كانوا أفحش ثراء هذه المرة ممن كانوا قبلهم، وعندما حل فصل الشتاء، تجرأ مجلس الإدارة وأضـــاف إلى الجماعة مجرمين اثنين محترفين علـــى أعلـــى مـــستوى، فـــى حضرتهما، يستحيل توقع ما يمكن أن يحدث من كوارث، فهذا يقع فى مجال تخصصهما الفنى الدقيق، فهما يؤكدان مثلاً، أن العلاج الأمثـــل للملل، هو ممارسة الجنس. وكانت أول ضحية هى إلزى، بنت عمدة البلدة، ذات الخمسة عشر ربيعًا. عندما جاءت فى صباح يوم بارد من أيام نوفمبر، ووقفت أمام باب المنتجع بعربة اللبن التى يجرها كلـــب ضخم، وكانت ترتدى بلوفرًا أحمر على بنطالها الجينز وتضع قلنسوة حمراء على رأسها.

جو ماريجوانا وجيمى الفحل، أكثر القتلة شهرة فى قارة أمريكـــا الشمالية. الاثنان ضخما التكوين وطوال القامة، أحدهما أكثر شـــهرة من الآخر، والآخر أكثر انحطاطًا، أحدهما أخلاقى والآخر كافر. وقد

اكتسب جو ماريجوانا هذا الاسم، لأنه كان يضع بين شفتى ضحيته دائمًا سيجارة محشوة بالماريجوانا، ليس لأنه كان يدخن الماريجوانا، بل لأنه يريد أن يؤكد أن القتيل رجل سيء الخلق. وكان يثبت على صدر ضحيته ورقة يكتب عليها بوضوح السبب الذى قتله من أجله، بالطبع لم يذكر قط السبب الحقيقى، فالسبب الحقيقى لا يعرفه سوى مجلس الإدارة، بل كان يكتب ما يؤكد سمعته كرجل يدافع عن الأخلاق: خيانة زوجية، عاق لأمه، كافر غير مؤمن بالله، بخيل مقتر، لوطى، شيوعى...الخ مما جعل مجلة Time الأمريكية تختار جو ماريجوانا ذات مرة كرجل العام، وتكتب: لو أن القواعد الأخلاقية التى ينادى بها هذا الرجل قد طبقت على المجتمع الأمريكى، لنسف المجتمع الأمريكى بأكمله. ومن غير المفهوم، أن الشرطة لم تحاول قط القبض عليه حتى الآن. كان بعد أن ينهى مهمته، يتحرك بشكل طبيعى. لم يكن يخاف شيئًا قط، فبعد أن يقوم بوضع العلامات على ضحيته، عادة ما كان يشارك فى الجنازة خلف الجثة، أو يتسلل وراءها فى قاعة التشريح، كان يطاردها أينما كانت، وكانت الجثث تقدر له ذلك. وحتى عندما قامت الشرطة بحفر قبر ببيه رونتسيل، بناء على رغبة أرملته لتأكيدها أنه لم ينتحر، وفتحوا التابوت، وجدوا سيجارة الماريجوانا بين أسنانه، وعلى صدره لافتة مكتوب عليها: صاحب بيت دعارة. وعلى عكس جو ماريجوانا كان جيمى الفحل، فهو لا يمتلك أية شعبية، بل إن الشرطة قد اعتقدت لفترة طويلة أنه شخصية وهمية، وأكدت أن مثل هذه الأفعال الشنيعة البشعة لا يمكن أن يقوم بها شخص واحد بمفرده، بل من المؤكد أنه أكثر من شخص. كان لا يفرق بين الضحايا فما كان يستهويه ويستفزه ويتحدى قدراته،

هى صعوبة المهمة فى حد ذاتها. كانوا يجدوا ضحاياه فى دورات مياه مغلقة، أو فى غرف المستشفيات المراقبة بعناية من الشرطة، أو الجالسين فى مقاعد الدرجة الأولى بالطائرات كما لو أنهم نائمين، أو مسترخين فى مقاعدهم الهزازة بمجلس النواب أو بمجلس الشيوخ. وكان بعدما ينجز مهمة ما، يذهب ليقيم فى بيت دعارة بضعة أسابيع. بين الحين والآخر، كان يثرثر بتصريح ما، أو يهذى بكلمات أثناء نومه، مما أدى بالشرطة للاقتناع تدريجيًا بوجود جيمى الفحل كحقيقة. وعليه، كان قرار مجلس الإدارة باستبعاده هو وجو ماريجوانا لفترة، للاستجمام والاختفاء فى المنتجع طوال فصل الشتاء. كانت فترة الإقامة محتملة بالنسبة للأخلاقى، بينما كانت صعبة قاسية بالنسبة للكافر. كان جو ماريجوانا يبحث عن تجمعات أخلاقية، بينما كان جيمى الفحل يبحث عن استرخاء حسى، أحدهم يبحث عن الاستعلاء، والآخر يبحث عن النساء، كان جو ماريجوانا يختفى أثناء الليل دون أن يلحظه أحد، فتجده فى أطلال أحد الكنائس المهدمة، أو فى بيت الخلوة المهجور لقسيس القرية، بينما كان جيمى الفحل يترصد تلك الفتاة بائعة اللبن التى تأتى مرتين فى الأسبوع، ذات الشعر البنى القصير المجعد، بعينيها الزرقاوين، طازجة، بريئة، لا تدرى أن وراء هذه النوافذ المغلقة، ترصدها عيون أحد أعتى عتاة المجرمين، وتشتهيها بشبق غير طبيعى.

لم يكن من الممكن تجنب ما حدث. جيمى الفحل يود اقتناص الفتاة، وجو ماريجوانا يود أن يمنعه من ذلك، وعندما كثر الحديث واللغط حول الفتاة، هدد جو ماريجوانا بأنه سوف يكسر رقبة كل من

يزعجها. لكنهما لم يحسبا حساب الكلب، الذى قفز بقوة ودفع بالعربة وبقسط اللبن على الأرض، بينما كانت إلزى تحاول الدفاع عن نفسها، وانقض على جو ماريجوانا الذى كان يريد أن ينقذ الفتاة، ونهشه بعنف فى مؤخرته، بينما كان جيمى الفحل يتدحرج مع الفتاة فوق اللبن المسكوب. جاء من الغابة صوت رجل سكران ينشد بصوت عال: "أيتها البجعات الساحرات، تسكرن من القبلات، وتصبغن أجسادكن العارية بالماء العذرى المقدس" اختلط الصراخ بالأنين بالتأوهات، وكان صاخبًا لدرجة يصعب فيها تحديد من هو الذى يصرخ ويئن، جو ماريجوانا أم جيمى الفحل أم الفتاة. فى نهاية الأمر اختفى جيمى الفحل داخل المنتجع، بينما اندفعت الفتاة مهرولة فى اتجاه الوادى. أما الكلب فانه لم يترك مؤخرة جو ماريحوانا بسهولة، فقد هتكها لدرجة كبيرة، مما جعل الحارس الليلى فانتسنريد يتسمر فى مكانه عاجزًا عن فعل أى شىء. ولم يتركه الكلب الغاضب، إلا بعد أن أطلق رد فلاورز النار من مسدسه ماركة Smith&Wesson دون أن يصيب الكلب. انتزع الكلب المسدس ماركة Smith&Wesson من يده وانطلق به مسرعًا وهو يجر العربة المقلوبة فى اتجاه الوادى.

تكلم فانتسنريد فى التليفون. فكر الكونت أن البيزنس قد انفتح على مجالات جديدة، فمنذ أن صار عضوًا فى مجلس الإدارة، وهو يبيع بجانب اللوحات المزورة، التى يشك فى أنها ربما تكون حقيقية، بل هى حقيقية بالفعل، بينما يؤكد أنها مزورة، والتى كان يبيعها فقط للزبائن الذين يستفسرون من مجلس الإدارة ليتأكدوا أن اللوحات حقيقية، لكن أغلبها مسروقة من قصور هؤلاء الذين يأتون فى فصل

الصيف، كى يستريحوا من شقاء الثـــراء وأعبـــاءه، بـــسعادة الفقـــر وبهجته. فكر الكونت فون كوكسن فى أن يبلغ شارع مينرفا بـــالأمر، لكنه قرر أن يقوم بالمهمة بنفسه. فى الظهيرة، توقفت سيارة آســـتون مارتن وسيارتان كاديلاك أمام المنتجع. خرج الكونت فون كوكـــسن من السيارة الآستون مارتن، وخرج ولداه بـــالتبنى مـــن االكـــاديلاك. كانت المرة الأولى التى يأتى فيها الكونـــت إلـــى المنتجـــع، بـــشعره الأشقر، وبمونوكله اللامع على عينه، فى يديه قفاز أبـــيض، يمـــشى بجواره كلبه الدوبرمان. قاده فانتسنريد إلى القاعة.

"كان على أن أكلم زيوريخ فى التليفون" قال فانتسنريد

"كان عليك؟" سأله الكونت مستهجنًا

"إنه أمر" قال فانتسنريد

"ولماذا لم تنفذه؟" سأله الكونت

همهم فانتسنريد بأنه اعتقد أن لشتنشتاين أقرب من ذلك

"على الحمار ألا يفكر، عليه أن يطيع" قال له الكونـــت، وراوده إحساس بأن الحارس الليلى يكذب.

على الأريكة، يرقد جو ماريجوانا على بطنه وهو يتألم بشدة.

"أين الآخرون؟" سأل فون كوكسن، وعندما لم يجب فانتـــسنريد، أمره فون كوكسن بصوت خشن عال: "إلى بالجميع!"

امتلأت القاعة تدريجيًا بوجوه كئيبة متجهمة، جاء البعض وفـــى أيديهم الرشاشات.

هناك خلل ما. أن يكون المنتجع فى الشتاء مكانًا للاختفاء، فكرة عبقرية ولا شك، ربما كانت فكرة منظف المداخن فى هيدسون، وربما فكرة رافائيل ورافائيل ورافائيل، لكن تلك الحادثة التى أبلغه بها فانتسنريد لم تكن فى الحسبان. كان لابد وأن يؤخذ عامل الملل فى الاعتبار، كمصدر لإثارة المشاكل. ربما أراد منظف المداخن فى نيويورك أو هؤلاء فى شارع مينرفا أن يتخلصوا من العصابة. أو ربما لم يعملوا حساب الملل، بل ربما كان فون كوكسن نفسه هو المسئول عن تلك الحادثة بكلاسيكياته الأدبية، يا الله، لو أنه شاهد تلك الوجوه، لابد وأن يصيبهم الملل. ربما كان عليه أن يبلغ رافائيل ورافائيل ورافائيل، ربما أرادوا له أن يتخذ القرار بنفسه، ربما أراد مكتب المحاماة فى شارع مينرفا ٣٣، أن يقوم هو بنفسه بإبلاغ الشرطة... عندئذ يكون الكونت مستأجرًا لمنتجع خال. عليه أن يخرج من المأزق. ما حدث فى نيويورك، كان درسًا جيدًا بالنسبة له. لن يسمح لمجلس الإدارة أن يحطمه مرة ثانية. جو ماريجوانا ما زال يئن ويتوجع. اقترب منه الكونت. كان الجرح غائرًا. لابد وأن يكون كلبًا شرسًا هذا الكلب. تسائل عما يمكن فعله، بالطبع لا يمكن إرساله لمستشفى المقاطعة.

"العياذ بالله" قال جو ماريجوانا، وذكر اسم عيادة خاصة فى آسكونا، فى سترادا ديللا كولينا.

لكن الكلب الشرس قد عض الرجل، والفتاة قد اغتصبت. من حسن الحظ أن الشرطة لم تتحرك حتى الآن. هناك مخرج واحد لهذا المأزق. لقد اصطحب معه كلبه الدوبرمان من أجل أن يحميه، أما

الآن، فربما أمكن للكلب أن يساعده فى هذا الموقف الحرج الذى تسبب فيه مجلس الإدارة. أشعل الكونت سيجارة، ثم نظر حواليه وتسائل:

"من؟"

صمت

أوقف الكونت فانتسنريد أمامه وقال له آمرًا: "استدر"

استدار فانتسنريد

أمره الكونت: "أنزل بنطلونك"

فك فانتسنريد البنطلون وتركه يسقط

أمره الكونت: "انحن"

انحنى فانمتسنريد. هنا اتضح الموقف لفانتسنريد، وتوقع ما سوف يحدث، مؤكد سوف تجرى له عملية مرة ثانية، ولكن فى مكان آخر. كان مصيبًا فى توقعه. لقد دفع الكونت الكلب لأن يعضه فى مؤخرته. ذهب الكونت إلى التليفون وأبلغ الشرطة أن كلب عمدة البلدة قد عض حارس المنتجع. بهت الرجل. لم تهتم الشرطة كما توقع الكونت، ربما لم يكن ضروريًا إذن أن يأمر برتا، هكذا يدعى الكلب، بعض الرجل. وأمر السادة، هكذا دعاهم، بالاختفاء فى البدروم. ركب سيارته الآستون مارتن ومعه كلبه الدوبرمان وانطلق عائدًا إلى لشتنشتاين. أخذ أوسكار الحارس إلى المستشفى، وأخذ ادجار جو ماريجوانا فى السيارة الكاديلاك الثانية فى طريقه إلى

آسكونا وهو فى حالة رعب. أما السادة فقد نفذوا الأمر.

فى هذه الأثناء، كانت الفتاة قد وصلت إلى البيت. وكـان أبوهـا بريتاندر عمدة البلدة مشغولاً بتقطيع الأخشاب فى الشونة. كان إنسانًا كئيبًا، بليدًا، صعب المراس، له فك مسحوب علـى وجـه مـستدير، بشعره الكث الخشن. كان يمكن أن يكون إنسانًا مرحًا، لو أنه أنجـب ولدًا، لكنه الآن بلا ولد، وزوجته قد ماتت، وليس هناك سوى إلـزى ابنته، التى يعاملها بجفاء وخشونة، لمجرد أنها بنت، حتى أنه سـألها أول ما سألها عن الكلب مانى، دون أن يهتم بإلزى نفسها. لا أعـرف أين هو، هكذا ردت على سؤاله. إنه يعتقد، أن الكلب سوف يأتى، فهو يعرف طريقه جيدًا، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها الكلب وهو يجر العربة المقلوبة، بين أسنانه المسدس ماركة Smith&Wesson حمـدًا لله، مانى بخير، لم يحدث له شىء، كلب طيب، كلب طيب، ولم يلحظ أنه عاد بدون قسط اللبن.

حوالى الساعة الثانية بعد الظهر، انطلق رجل الشرطة لوستنفايلر بسيارته الجيب إلى القرية. لقد أصبح رجل شـرطة بواسـطة أبيـه مستشار الحكومة السيد لوستنفايلر، فلقد كان طوله ينقص ١٥ سم عن الطول القانونى المطلوب. لكنه لم يعمل شيئًا طول حياتـه سـوى أن يأكل بشراهة، كان يقول أنه كان يرغب فى أن يكون إما رجل شرطة أو حارس قطار فى محطة السكك الحديدية، حتـى لا يفعـل شـيئًا، ويتفرغ للأكل، وبما أن السكك الحديدية قد رفضته بشدة، فلـم يبـق أمامه سوى الشرطة، وهكذا أصبح فى النهاية، شـرطيًا فـى نقطـة شرطة قرية وادى الفوضى، التى تبعد اثنتا عشر كيلـو متـرًا عـن

القرية. توقف لوستنفايلر بسيارته الجيب أمام منزل عمدة البلدة، لكنه لم ينزل، بل أطلق آلة التنبيه. ظهر رأس مانى الضخم فى كوخه، ثم اختفى. انفتح باب البيت وخرج منه العمدة.

"أهلاً" حياه الشرطى

"ماذا هناك؟" تسائل العمدة. ظهر رأس مانى الضخم ثانية

"لا شىء" رد الشرطي

"إذن لا شىء" قال العمدة وعاد داخلاً البيت. خرج مانى من كوخه، تمطع، تثائب اقترب من السيارة، شعر لوستنفايلر بالخوف، ظل فى مكانه متسمرًا، ممسكًا بعجلة القيادة، ساكنًا لا يتحرك. تشمم الكلب السيارة، استدار، وعاد إلى كوخه برشاقة. أطلق لوستنفايلر بوق السيارة، مرتين، ثلاث مرات. خرج العمدة من بيته ثانية متسائلاً: "ماذا إذن؟"

"يجب أن أتكلم معك" رد الشرطي

"تعال إذن" قال العمدة وأراد أن يعود

"لا يمكننى" قال الشرطى "الكلب.."

"ماذا عن مانى؟" تسائل العمدة. خرج الكلب ثانية من كوخه

"إنه يعض" قال لوستنفايلر، وهو يراقب بحذر وخوف الكلب الذى يقترب منه

"كلام فارغ. إنه لا يعض" قال العمدة. هز الكلب ذيله، وفجأة قفز الكلب داخل السيارة وابتدأ فى لحس وجه لوستنفايلر

"مانى، إلى الكوخ" أمره العمدة بهدوء

ذهب الكلب بهدوء إلى الكوخ ودخل فيه

"أرأيت كم هو طيب" قال العمدة

"لقد عض الكلب حارس المنتجع" أكد الشرطى

"لم يحدث" قالت إلزى وهى آتية من داخل البيت "لم يحدث قط. لقد اعتدى على رجلان، أحدهما أخذنى.. فى اللبن. انظر كيف أبدو يا لوستنفايلر، أترى الكدمات والخرابيش، أبى لا يراها، هو الوحيد الذى لا يراها، والآخر عضه الكلب.

"اخرسى" وبخها أبوها "ماذا حدث؟"

"لقد وقع القسط واندلق اللبن" قالت إلزى، بعدها أخذنى أحدهم وسط اللبن المدلوق و..." اندفع العمدة داخل المنزل وعاد وفى يده المسدس Smith&Wesson

"لقد أحضر مانى هذا المسدس بين أسنانه " واتجه إلى إلزى قائلاً " اقفلى فمك، لقد كان فى حالة هياج زائد"

"أبلغت تليفونيًا أنه عض حارس المنتجع" قال الشرطى وتسائل "بحق الشيطان ما الذى حدث وسط اللبن المدلوق؟ لابد وأن تعرف الشرطة كل شيء"

"يمكن لرجل الشرطة أن يتخيل، ما الذى يمكن أن يحدث وسط اللبن المدلوق بين رجل فحل وفتاة ساذجة مثلى" أجابت إلزى

فكر لوستنفايلر برهة، ثم قال "تقصدين..؟"

"لا تسأل مثل هذه الأسئلة الساذجة" أجابت إلزى

"الرجلان الاثنان؟" سألها الشرطى

"الاثنان" قالت إلزى ودخلت للبيت

"الاثنان" كرر الشرطى وهو يهز رأسه

"إلزى تخرف" قال أبوها

"غريب" قال لوستنفايلر وانطلق مع العمدة إلى المنتجع.

كانت بوابة المنتجع الرئيسية مغلقة، كذلك المدخل الجانبى، حيث كان قسط اللبن الفارغ ما زال ملقى على الأرض، حوله بقايا اللبن المسكوب. نادى بصوت عال، لم يأت أحد. " غريب" قال الشرطى، فعاد الاثنان إلى نقطة الشرطة. لقد حول لوستنفايلر نقطة الشرطة التى يعمل بها أكثر من عشرين عامًا إلى مطبخ مجهز كامل، على الحائط علقت أنواع السجق المتعددة وأفخاذ الخنازير المدخنة، فى أغلب الأركان هناك شىء يغلى أو يسلق أو يتشرب أو يتبخر أو يتحمر أو يشوى، صفوف من الآنية المليئة بالمخللات، على الطاولة لحم مفروم وبصل وثوم وبقدونس وشبت وكرفس، علب مفتوحة من التونة والسردين والأنشوجة، بيض مسلوق وخس، وسطهم تقارير فنية عن حوادث وصور لمجرمين وجرس ومسدس.

"عملت شوربة لحمة بالكرفس والبهارات والحبهان، إنما فاخرة" قال لوستنفايلر وهو يغرف لنفسه سلطانية ملأها حتى آخرها من الإناء الذى يتصاعد منه البخار، وضعها على المكتب وابتدأ فى

تناولها، أثناء كتابته المحضر على الآلة الكاتبة، أحضر سلطانية ثانية ثم ثالثة، انتهى من كتابة المحضر، أخذ المحضر وقرأه، مسح بقايا الشوربة من على المحضر، وطلب من العمدة أن يوقع على أقواله. قطع بالسكين قطعة من دهن الخنزير المعلق على الحائط، في نفس اللحظة التي دخل فيها أوسكار فون كوكسن نقطة الشرطة يفوح منه العطر وهو يتبختر

"يجب التخلص من الكلب" أكد بشكل قاطع

"ومن تكون سيادتكم؟" سأله الشرطي وهو يمضغ دهن الخنزير

"أنا وكيل مؤجر المنتجع" رد أوسكار

"الواعظ، الفقراء لهم الجنة؟" تساءل الشرطي وهو ما زال يمضغ

"إنه يؤجر المنتجع في الصيف، بينما أبي الكونت فون كوكسن يؤجره في الشتاء"

قال أوسكار

"غريب" ردد الشرطي وهو ما زال يمضغ "من لشتنشتاين"

"يجب التخلص من الكلب" أكد أوسكار ثانية

"ماني بريء" قال بريتاندر "أنا عمدة البلدة، وهذا الكلب كلبي"

"لقد مزق مؤخرة الحارس" قال أوسكار

"لأن ابنتي إلزي قد اغتصبت" رد العمدة بسرعة

"غريب" قال الشرطي للمرة الثالثة

"لقد عـاد الكلـب بمـسدس بـين أسـنانه، مـسدس ماركــة Smith&Wesson" قال العمدة

"الذى يعضه الكلب فى مؤخرته ويمزقها بهذا الشكل، لا يـسحب مسدسه ولا يغتصب فتاة " قال أوسكار، بينما كان الـشرطى يـدهن الخبز بالزبد، ويضع فوقه قطع دهن الخنزير. واصل أوسكار "ولو أن الفتاة تؤكد أن الكلب قد عض مؤخرة أخرى غير مؤخرة الحـارس، فسوف يكون من السهل العثور على تلك المؤخرة المشوهة، لكن مثل هذه المؤخرة لا وجود لها "

"لو أنه كان أكثر توحشًا، لكانت المؤخرة بكاملها قد اختفت" قـال العمدة غاضبًا

"مانى برىء. شىء ما غامض فى هذا المنتجع، عنـدما يـسكن الحارس وحده هناك، فلماذا يحتاج إلى قسطين من اللبن فى الأسبوع، يستحيل أن يشرب الحارس بمفرده كل هذه الكمية"

"لن أتناقش معك أكثر من ذلك، فأنت منفعل" قال أوسكار "جروح غائرة ومتهتكة فى جسد الرجل، سنقدم بلاغًا بذلك" وخرج، جلس فى الكاديلاك وعاد إلى المنتجع

"هل ما زلت تؤكد أن إلزى قد اغتصبت بالفعل؟" سأله الـشرطى وهو يمضغ

"ما يهمنى هو الكلب" رد العمدة "مانى برىء"

"إذا كانت إلزى قد اغتصبت، فهو الكلب بكل تأكيد" قال الشرطى "عندئذ، فنحن أمام حالة زنا صريحة، ويجب التبليغ عنها فـورًا، أنـا

متأكد، فى مكان ما توجد علبة فاصوليا"

"جميل" قال العمدة "إذن، اتخذ إجراءات التبليغ"

"ضد الحارس؟" سأله الشرطى وواصل البحث فى كومة من العلب التى تدحرجت على الأرض.

"ليس ضد الحارس. بل ضد المغتصب" قال العمدة "لكن مانى برىء".

"جميل. كما تود" قال الشرطى "لكننى لا بد أن أكتب أقوال الرجل الآخر وكيل مؤجر المنتجع. إننى أعمل هنا وحدى، وسوف يستغرق إعداد المحضر عدة أيام، سأخبرك عندما أنتهى منه".

"هل ستكتب أن مانى قد عض الرجل المغتصب؟" سأله العمدة

"الرجل المغتصب والحارس الليلى" رد الشرطى وهو يفتح علبة الفاصوليا.

"لكن عندنا مؤخرة واحدة معضوضة وليس اثنتين. كيف يمكن كتابة ذلك؟"

"وماذا لو لم تكتب شيئًا؟" سأله العمدة.

"عندئذ يكون كل شىء على ما يرام، مؤخرة الحارس الليلى كذلك كلب العمدة، وينتهى الموضوع" قال الشرطى وهو يسكب الفاصوليا فى الكسرولة مع شوربة اللحم

"إذن لا تكتب شيئًا" قال له العمدة وعاد إلى البيت.

لم يشغل العمدة بال الكونت فون كوكسن. لكن ما حدث برمته كان شيئًا شديد السخف بالنسبة للكونت. كان متأكدًا أن تلك الواقعة من تدبير أحد جهتين، أما من جهة منظف المداخن، أو من تدبير أحد زبائن رافائيل ورافائيل، أو من تدبيرهما معًا – إن لم يكونا نفس الجهة – ليوقعوا به فى المصيدة. يؤكد ذلك، أنه عندما ذهب إلى شارع مينرفا ٣٣، قابله ثلاثة رجال آخرين غير رافائيل ورافائيل ورافائيل. كان ثلاثتهم يتميزون بالبدانة والسمنة المفرطة، لا يفرقهم سوى اللغد: مزدوج وثلاثى ورباعى. وقد كان رأى ذى اللغد المزدوج، أنه كان عليه أن يخبرهم حال وقوع الحادث، بينما رأى ذو اللغد الثلاثى أنه أفسد كل شىء بفكرته السخيفة تلك، بأن يدفع كلبه لعض الحارس، هنا أمر ذو اللغد الرباعى فون كوكسن بأن يصلح الأمور بنفسه فهذه مسئوليته. لقد لاحظ الكونت أيضًا أن المنزل بشارع مينرفا قد تغير عما كان من قبل، وصار آيلا للسقوط، لكن رقم المنزل لم يتغير، فلقد قرأ الرقم قبل دخوله. كانت غلطة مجلس الإدارة وليست غلطته، أن يحاول رافائيل ورافائيل ورافائيل أن يحملوه مسئولية هذا الخطأ، لكن هذا طبيعى من هؤلاء الذين يحصلون على ستين فى المائة من ثمن اللوحات الحقيقية التى يبيعها، والآن يساومونه عن طريق وكلاء آخرين، وقاحة لا تليق. انه فى ورطة حقيقية. اغتصاب فتاة قاصر، قضية واضحة سيبت فيها القضاء. لكن كلبى الدوبرمان قد عمل على تخفيف الموقف ولا شك، لا، لم تكن فكرة سخيفة، بل ومضة عقلية مشعة. يجب عليه أن يرفع الدعوى قبل أن يسبقه العمدة. قدم للمسئول فى عاصمة المقاطعة مذكرة للمطالبة بتعويض عن الضرر.

في صباح أحد أيام ديسمبر خاض الشرطي لوستنفايلر وسط الجليد، الذي تساقط أخيرًا، حتى وصل إلى دار العمدة، كي يخبره وهو يشير على ماني الذي قابله وسط الجليد هازًا ذيله، بأن الكلب لابد وأن يقتل رميًا بالرصاص، فلا يجوز أن يطلق مثل هذا الحيوان الخطر يتجول بحرية بين المواطنين، هكذا كانت فحوى الخطاب الذى وصله من عاصمة المقاطعة. أصابه الجنون ولاشك لوستنفايلر، هكذا فكر العمدة، إنه لم يبلغ عما حدث لابنته إلزى من أجل أن يحمي ماني. قال الشرطي أنه لم يبلغ شخصيًا عن الكلب، إنما الذى بلغ هو الكونت فون كوكسن، والقانون قانون. يجب أن يقتل ماني رميًا بالرصاص، فهو شخصيًا يخاف منه، بحجمه الضخم هذا. قال العمدة بهدوء ينذر بالخطر وهو يحضر بندقية الصيد، على لوستنفايلر أن يبتعد شخصيًا عن هذا الموضوع، هذا وإلا سوف ينطلق الرصاص. ليس على الكلب. لم يكن يود أن يسمع ذلك منه، قال له الشرطي وخاض في الجليد حتى سيارته الجيب وانطلق. نادى العمدة على إلزى، لكنها لم تكن هناك. هذه البنت الملعونة، فكر الرجل، لو أنه يعرف ماذا حدث بالضبط. لكن إلزى ظلت مختفية. لقد خاضت الفتاة وسط الجليد إلى الوادى، وعندما عبرت سيارة الشرطي الجيب، اختفت وراء كومة من الجليد. مرت خلال الطريق الرئيسي، ثم في اتجاه المنتجع حيث كان الشارع مغطى بطبقات سميكة من الجليد، لم يعد أحد في حاجة إلى اللبن، فقد كان الحارس ما يزال في المستشفى. خاضت إلزى وسط الجليد حتى وصلت إلى المنتجع، توقفت عند مدخل الجراج، تطلعت إلى المنتجع، كانت ترتدى بلوفرها الأحمر السميك وقلنسوتها الحمراء. كان انعكاس الضوء على الجليد ينعكس

بدوره على المنتجع من خلال أشجار الحديقة، أحست بشىء يلعق يدها، لقد كان مانى، الذى كان يبحث عن إلزى، أمرته بالرجوع للبيت، فعاد مسرعًا متدحرجًا على الجليد. اقتربت إلزى من المنتجع، لاحظت وجود آثار أقدام حديثة، تتبعتها حتى المدخل الجانبى، توقفت إلزى، انتظرت برهة، نادت بصوت عال، دارت حول المنتجع وسط الجليد المتراكم، ثم عادت لآثار الأقدام. اشتدت برودة الجو فجأة. لم يعد ضوء الشمس ينعكس على المنتجع، بل كان يتسلل وسط أشجار الغابة، ويضيء الكتل الصخرية.

كانت القرية ترقد فى الظل منذ فترة طويلة. وكان العمدة منشغلاً بنحت تمثال لمانى، فمنذ أن صاحبه مانى، قرر أن يصنع له تمثالاً من الخشب "مانى وهو جالس القرفصاء" وهكذا يخلد مانى ويعيش إلى الأبد. لكن التمثال كان بعيد الشبه عن الكلب، فرأس التمثال لم تكن شبيهة برأس مانى، وعندما كان يقترب من ذلك، يصبح الجسم كبيرًا، فيقتطع من الجسم بعض الأجزاء، فيصبح الرأس غير مناسب، وهكذا تصغر كتلة الخشب شيئًا فشيئًا، حتى تصل إلى حجم كلب بودل صغير، له رأس كلب ضخم أفطس الأنف، لقد كان العمدة يعمل دون تركيز كاف. توقف عن العمل ووضع أدوات النحت جانبًا، وأحضر كتلة جديدة من الخشب. هناك خطأ ما، ليس فى النحت وحده، لم يكن ذكيًا فى تعامله مع إلزى، كما أنه لم يكن قادرًا على التفاهم معها، لم يهتم قط بماذا تفعل وأين توجد. كان الكلب مختفيًا هو الآخر، لكنه الآن يرقد أمام باب البيت. خاض العمدة فى شوارع القرية، نبح الكلب خلفه، أفزعته فكرة أن يتبعه. كانت القرية تغرق

فى سكون وصمت. الشوارع مغطاة بالجليد المتراكم الكثيف. سقط الرجل فى حفرة جليدية، أبواب المنازل يسدها الجليد، تاكسيان أمام الجراج تكسوهما طبقات كثيفة من الجليد. خرج زافانيتى من بار "سلخانة الحديقة" ودلف إلى محله لبيع الكتب القديمة. ما زال هناك علامات حياة. وضعت الأرملة هونجربوهلر خطابها اليومى فى صندوق البريد. سمع صوت آتيًا من ناحية المدرسة ينشد: "اتركنى هنا أيها الرفيق المخلص، اتركنى وحدى على الصخور، وسط المستنقع بين الطحالب، فقط استمر، استمر فى ذلك، واصل، فالعالم بالنسبة لكم عالم مفتوح، والأرض متسعة مفرودة، والسماء رائعة بلا حدود، راقبوا، ابحثوا، اجمعوا التفاصيل، اكتشفوا أسرار الطبيعة "كان صوت آدولف فرونتن ناظر المدرسة. جاء منذ سنوات من عاصمة المقاطعة واستقر هنا بوادى الفوضى، حكمة القدر، هكذا كان يقول لنفسه، كانت القرية مهملة منسية، كغيرها من الأماكن، فليس هناك سبب للضيق والتذمر. كان فى حوالى الستين من عمره، له شعر أحمر نارى ولحية حمراء نارية، وحواجب بيضاء كثيفة، تظلل عينيه الزرقاوين، وكان مليئًا بالنمش فى كل مكان، حتى أنه كان يقول عن نفسه، أن أمه قد نسيت أن تجففه عند ولادته. كان يكتب قصصًا رقيقة غريبة: "آباء أب أبناء زيبيديوس"، "ماذا يحدث لو أن كبير الأساقفة مورتيمر صار حاملاً؟" "هادىء لكنه مخيف"، "شكوى المواشى والنساء"، "توقف أبواق أريحا"، جميعها فى حوالى أقل من خمسين صفحة، نال عليها جائزة ماتياس - كلاوديوس، وسافر بدعم من مؤسسة بروهلفيتسيا الثقافية ومعهد جوته إلى كل من كندا

والاكوادور ونيوزيلنده، قام وهو سكران بضرب مدير إدارة التربية والتعليم، نقل بعدها ناظرًا لمدرسة قرية وادى الفوضى، التى لم يتركها منذ أن حل فيها. كان من أوائل الذين تأثروا بكتابات روبرت فالسر، الذى قام بوضع أسس الأدب السويسرى القومى الساذج، لذلك كان إنتاج فرونتن الأدبى لا قيمة له. ورغم ذلك لم يتوقف عن الكتابة، بل على العكس. كان يكتب بلا توقف، يكتب وهو ينشد، يكتب وهو يسكر، يكتب أثناء الدرس فى حصص المدرسة، ثم ينتزع الأوراق التى كتبها، ويلقى بها بعيدًا فى أى مكان، كانت الأوراق مبعثرة فى المدرسة، وفى الشارع، وفى الغابة، على الناحية الأخرى من الوادى وراء المنتجع. تدريجيًا، اختزل كتاباته إلى جمل مكثفة مركزة، كان يطلق عليها اسم "دعامات فكرية" كانت عبارة عن جمل مثل " الرياضيات ما هى إلا صورة منعكسة للميلانخوليا "، "الفيزياء، تكتسب المعنى كدسيسة"، "الإنسان هو الذى اختلق الطبيعة"، "الأمل يفترض وجود الجحيم ويؤثر فيه"، وأحيانًا كان يصل بالاختزال إلى حده الأقصى، ويكتب فقط مفردات متناثرة، مثل: عصر جليدى، رؤيا، روح ميدوزا، نقود كعبآخيل. وكان الناشرون يأتون بحماس ملفت لجمع هذه الأوراق المكتوب عليها تلك الملاحظات من تلاميذ المدرسة، التى كانوا يحتفظون بها ويبيعونها للناشرين. ولقد تم نشر "الدعامات الفكرية" فى خمس مجلدات، تناولها النقاد بإعجاب بالغ، ما عدا أحدهم الذى أكد أن كونرادين ابن زافانيتى الذى لم يتجاوز الخامسة عشر من العمر يقوم بتقليد خط فرونتين، ويكتب أوراقًا عليها "المدرسون يضرطون ألمانية فصحى"، "تسكر فوق ونؤلف

تحت"..إلخ ولما أعلن أحد الناشرين عن قرب صدور رواية "حبل المصيدة" للكاتب فرونتن، غضب فرونتن ونفى ذلك بشدة، وبشكل عام، صار عدوانيًا مع زملاءه فى اتحاد الكتاب. كان يختفى عندما يأتى النقاد والصحافيون، يحملق فى وجوههم ولا ينطق بكلمة واحدة. ذات مرة، أعجبته صحافية شابة، أخذها إلى منزله، ألقى بها على السرير، ضاجعها، وطردها من المنزل، دون أن يبادلها كلمة واحدة. كان دائمًا لا يوفق فى انتخابات الجمعية العمومية للمدرسة. سادت الفوضى المدرسة، لكنه استمر فى الكتابة، وفى تعنيف التلاميذ، ملقيًا فى الهواء بفردة حذاءه التى لا يربطها قط. قابل إلزى ذات مرة، كانت الندبة واضحة على جبهتها. تعلمت معه بصعوبة مبادىء الكتابة والقراءة وجدول الضرب. وبما أنه لم يجد شخصًا آخر، استمر فى الكتابة وفى السكر. كما أنه كان مفيدًا لأهل القرية، فقد كان يكتب المكاتبات الرسمية للعمدة. كان العمدة يحبه، بالرغم من أن فرونتن كان يتحدث دائمًا بالألمانية الفصحى، التى كانت تشكل صعوبة بالنسبة للعمدة. صعد العمدة للطابق الأول من المدرسة، حيث يسكن فرونتن. كان فرونتن جالسًا فى المطبخ أمام المائدة، وأمامه نصف زجاجة روم. كان يكتب. جلس العمدة فى مواجهته. صب الناظر لنفسه بعض الروم واستمر فى الكتابة، نهض من مكانه، فتح شباك المطبخ، وألقى بما كتب من الشباك وأغلقه، أحضر كأسًا أخرى، وضعها على المائدة أمام العمدة، ملأها بالروم ثم جلس.

"تكلم" قال للعمدة وجلس يستمع إليه وهو يحكى همومه.

"بريتاندر" قال فرونتن "أنا لا أريد أن أتدخل فى هذا الموضـــوع. فالذى يهمك فى الأساس هو الكلب. وأنا أكره الكلاب. الشاعر جوتـــه أيضًا كان يكره الكلاب. لقد تنازل عن وظيفة مدير مسرح لأن العمل استوجب وجود كلب، وأحضروا الكلب بالفعل. من المحتمل أن يكون مانى استثناء بين الكلاب، كلب شاعرى مثل مفيستوفوليس. لكنه لـــم يعد من الممكن إنقاذه. لقد عض الرجل بشكل بشع.

لا يمكننى بالطبع أن أؤكد وسط تلك الفوضى، أية مـــؤخرة قـــد مزقها، مؤخرة من بالتحديد. دعنا من تلك العاصفة أمام المنتجع. لكن إلزى فتاة مغرية بالفعل، هذه حقيقة، وعجيزة الحارس حقيقة أيـــضًا، وعلينا أن نترك الحقائق كما هى.

"ماذا تقصد بقولك: وسط تلك الفوضى؟" سأله العمدة.

"أيتها البجعات الساحرات، تـــسكرن مـــن القـــبلات وتـــصبغن أجسادكن العارية بالماء العذرى المقدس" كنت أنشد ذلـــك وأنـــا فـــى الغابة خلف مبنى ملحق المنتجع، قال الناظر. كلام لا معنى له، فـــلا البجعات تقبل بعضها، كما أن أجسادها ليـــست عاريـــة، أمـــا كلمـــة "تصبغن" فهى كلمة بشعة، تلك التى تحول الماء العذرى المقدس إلـــى قهوة باللبن. أكثر بشاعة، ما رأيته بعينى يحدث أمام المدخل الجانبى. بريتاندر. بريتاندر، أرجوك" توقف عن الحديث، صب روم لنفـــسه، وظل صامتًا.

"أكمل، ماذا حدث؟ ماذا رأيت؟" سأله العمدة

"كانوا يتمرغون جميعهم هناك وسط اللبن المنسكب" أجاب الناظر "إلزى، ورجل، ورجل آخر، وكلب، لقد سمعت صرخات العناصر وأنا فى الغابة وراء المنتجع"

صب لنفسه بعض الروم "أنصحك يا بريتاندر: لا تقحم نفسك فى هذا الموضوع. إلزى قوية بما فيه الكفاية، سوف تتحمل ذلك. حقيقة، هى لا تحتاج لمساعدة من أحد، فهى أقوى منا جميعًا. أما الكلب، هل حقيقة أنه ليس كلبك، لكنه لجأ إليك؟"

"لقد جاء إلى القرية على سبيل الخطأ" رد العمدة.

"مثلى تمامًا" قال فرونتن "لقد جئت أنا أيضًا إلى هذه القرية على سبيل الخطأ".

ما الذى يتبقى للمرء فى هذا البلد؟ يا حضرة العمدة، إلا أن يأتى إلى هذا المكان على سبيل الخطأ؟

حملق فى المطلق، ونسى العمدة، ولم يلحظ إن كان ما زال يستمع إليه، أم أنه قد انصرف، اندفع إلى شباك المطبخ، فتحه بعنف وصرخ: "اللعنة على السيدة فون شتاين".

ثار العمدة كقروى ساذج ثورة عارمة لأن إلزى قد اغتصبت، حاول الشرطى لوستنفايلر تهدئته، قائلاً أن إلزى قاصر تحت السادسة عشر، وأن هذا يعتبر تغريرًا بفتاة قاصر. هنا اشتعل العمدة غضبًا، لأنه لم يقم بالتبليغ فى حينه عن اغتصاب إلزى، كان ذلك خوفًا من أن يبلغ أحد عن الكلب، الشىء الذى حدث بالفعل. والآن يجب عليه أن ينقذه، إلزى وقد اغتصبت والحمد لله، وناظر المدرسة شاهد ذلك

بعينيه. ولأنه قروى هادىء الإيقاع، فلكل شىء وقته، فلم يسافر إلـى عاصمة المقاطعة إلا فى أواخر شهر فبراير، أخذ أوتوبيس البريد إلى القرية المجاورة، ثم أخذ القطار القشاش الذى يتوقف عند كل قريـة، حتى وصل إلى العاصمة. كان قد سجل اسمه، يطلب مقابلـة ممثـل الحكومة فى المقاطعة، ومن واجب ممثل الحكومة أن يـستمع إلـى العمد، الذى يبلغ عددهم فى المقاطعة أكثر من مائتى عمدة، لذا فـلا وقت لديه للمجاملات.

"بريتاندر" قال له بحدة ممثل الحكومة، والمشرف علـى أجهـزة القضاء وعلى أجهزة الشرطة فـى نفـس الوقـت، دون أن يعطـى الفرصة للعمدة أن يقدم شكواه،

"أعرف الموضوع كله، مؤجر المنتجع يطالب بتعـويض عـن الضرر الذى أصابه، حيوانك الملعون دمر عجيزة الرجل، ورغم ذلك ما زال الكلب حرًا طليقًا، المسكين لا يمكنه الجلوس على قاعدته، لقد تمزق تمامًا الجزء المصاب من الجسم، ربمـا يـستحيل أن يرجـع لطبيعته ثانية، وتصبح عاهة مستديمة. ألا يزعجك هذا يا بريتانـدر؟ ما زال أمامك الكثير، فنحن ما زلنا فى البداية، وأنا لا أقصد سـوى مصلحتك، كن متعاونًا واقتل الكلب"

"على رجال المنتجع، أن يكونـوا متعـاونين" رد العمـدة "لقـد اغتصبوا ابنتى إلزى، ومانى كان يدافع عنها"

"اغتصبوها؟" تساءل ممثل الحكومة منزعجًا "الحـارس الليلـى؟ الذى عض فى مؤخرته"

"لا، رجل آخر هو الذى اغتصبها، لقد عـض الكلـب الرجـل الخطأ" أجاب العمدة، قطب ممثل الحكومة جبينه، وسـأله مندهـشًا: "وتبلغ عن ذلك الآن؟!"

"لقد اعتقدت أن ذلك سوف يحمى مانى، وأنه لن يحدث له شىء، لو أننى لم أبلغ عن ذلك" رد العمدة مفسرًا

رجع ممثل الحكومة بظهره فى المقعد وقال "بريتاندر، يجـب ألا نوهم أنفسنا، فالفتيات فى هذا العمر يعشن رغباتهن البذيئة فى خيالهن الخصب "

"عندى شاهد على ما حدث" قال العمدة

"شاهد. عندك شاهد" رد ممثل الحكومة "من هو يا ترى؟"

"فرونتن، ناظر المدرسة" أجاب العمدة

"الشاعر. الشاعر إذن" قال ممثل الحكومة "إذا رغبت فى تقـديم بلاغ عن حالة اغتصاب قاصر، يجب أن تقدم البلاغ إلى الـشرطة، التى ترفعها بدورها للنيابة العامة، التى تحولهـا بـدورها للقـضاء المختص"

"هذا يعنى، أن نبدأ من أول وجديد" تساءل العمدة منفعلاً

"النظام نظام"

"سأقدم البلاغ" قال العمدة

"بريتاندر" أجابه ممثل الحكومة "أنت مخك ناشف، ومتصلب الرأى، وسوف يجر ذلك عليك المشاكل، وعلى القرية بأكملها، وتكون النهاية غير طيبة. لا يمكننى أن أقول لك الأسباب. أنت تعتقد بصفتى ممثلاً للحكومة فى هذه المقاطعة، وأن أجهزة القضاء وأجهزة الشرطة تحت امرتى، تعتقد أننى أعرف الكثير أكثر منك. أقول لك إننى لا أعرف إلا أقل القليل. إن بلدنا هذا هو أكثر البلاد غموضًا فى العالم. لا أحد يعرف ماذا يخص من، ومن يلعب مع من، ومن يقوم بدور أوراق اللعب، ومن الذى خلطها وستفها ورتبها. نتشدق طوال الوقت بأننا بلد حر، مع أننا لسنا متأكدين، أننا ننتمى إلى أنفسنا. إن قصة إلزى وكلبك لا تعجبنى، كما أن موضوع مؤخرة الحارس موضوع سخيف. أى حارس ذلك الذى يمكن أن يعض فى هذا المكان؟ وهذا الكونت فون كوكسن أيضًا هل يوجد أصلاً مثل هذا اللقب؟ ومن ليشتنشتاين كذلك. يريدون أن يكونوا نمساويين وسويسريين فى نفس الوقت،أهل ليشتنشتاين بالذات. ماذا يفعل رجل من ليشتنشتاين فى وادى الفوضى وعم يبحث؟ أشياء كثيرة، تكمن خلف هذه التساؤلات، من الأفضل أن لا نفتش عنها، كما أننا لا نفتش أيضًا فى خزائن بنوكنا. ورفع قضية لن يغير فى الأمر شيئًا. ليس هناك داع أن تبلغ أو أن تقيم دعوى، حتى لوكان كل ما تقوله صحيحًا فكثيرًا ما يضيع العدل، سوف أتحدث مع هذا الكونت بأن يسقط دعواه هو الآخر، أعدك بذلك. عليك فقط، أن تقتل الكلب. وعلى كمدير للشرطة، أن أطلب منك ذلك، سوف يفتح " بيت الفقر " أبوابه فى الربيع القادم، وسوف تكون هناك فرصة ثمينة لمانى لعض مؤخرات من هم أهم من الحارس"

"لن أقتل الكلب. وسأقدم البلاغ. وسأرفع الدعوى " قـال العمـدة بتصميم قاطع.

نهض ممثل الحكومة واقفًا "إذن ليس أمامى سوى أن آمر بقتـل الكلب. ارجع الآن لعشك بسرعة، يجب أن أذهب للحانة.

نزل العمدة من الأوتوبيس عند نقطة الشرطة، قدم البلاغ لرئيس النقطة الشرطى لوستنفايلر، الذى وجد نفسه فى هذه الحالة مـضطرًا لاتخاذ الإجراءات اللازمة، فلقد كان منهمكًا فى أكـل مـوزة بتلـو، سوف يحتاج ذلك لعدة أيام. بعدها بعدة أيام، ذهب إلى القرية وقابـل العمدة حتى يحصل على توقيعه على المذكرة التى كتبها، ونصحه بأن يوكل محاميًا، فالموضوع سوف يحتاج لوقت طويل. لم يكن يعـرف لوستنفايلر ماذا يفعل بالبلاغ، فأرسله إلى شرطى زميل لـه بنقطـة شرطة القرية المجاورة. وجد هذا الشرطى الزميـل الخطـاب بعـد يومين صدفة، وهو يقلب فى رسائل البريد، فقام بتسليم البلاغ بيديـه إلى كاتب الدائرة، الذى يعتبره أهل المنطقة قاضى الدائرة، ولما كـان كاتب الدائرة مزدحمًا جدا بكتابة إقرارات ضرائب المواطنين، التـى يجب أن يملأها بنفسه، لم يتمكن من إرسال البلاغ إلى قاضى الفحص بالعاصمة قبل آخر شهر مارس، الذى قام بقراءتـه. كـان قاضـى الفحص يتخذ قراراته دائمًا بتعجل. فى حقيقة الأمر، كان يرغب فـى أن يكون طبيبًا، لكن النقود لم تكن تكفى، فأراد أن يكون رجل قانون، لكن النقود أيضًا لم تكن تكفى، فأراد أن يعمل عملاً حرًا، لكن النقـود كانت تنقصه دائمًا، وهكذا صار موظفًا، لكن الترقيات تتعثر ببطء، لم يكن هو القاضى فى حقيقة الأمر، فلقد كان القاضى الفعلى فى عطلة،

وهو لم يكن حتى نائبًا له، فلقد كان النائب مريضًا، هو بالضبط نائب النائب. ومن خلال فشله، كان يرى كل شيء فى المقاطعة خاطئًا ورديئًا، لذا اقتنع فى الحال بأن إلزى قد اغتصبت، وأن الكلب قد عض الرجل دفاعًا عن إلزى. كان السبب فى قناعته تلك، يرجع إلى شعوره بالإحباط والنقص، نتيجة فشله الدائم وسوء حظه المستمر، فقد كانت تنقصه الشجاعة لأن يتخذ قرارًا فى البلاغ ويبدأ فى الإجراءات، فوضع البلاغ ثانية فى المظروف. فى بداية الأسبوع، عاد نائب القاضى الحقيقى إلى العمل، بعد أن شفى من نزلة البرد التى داهمته. لم يفض الرسالة، وتركها فى مظروفها كما هى، فقد كان يقول دائمًا، أنه مبدئيًا لا يقرأ أية رسالة تأتى من وادى الفوضى. ولم يقرأ البلاغ إلا قاضى الفحص الحقيقى بنفسه بعد عودته من العطلة. قرأه بدقة وعناية، هز رأسه قائلاً أن هناك بلاغًا آخر بطلب تعويض عن الضرر، لكنه ليس عاجلاً كما يقول ممثل الحكومة، وقد سأله بعض المحامين عما إذا كان العمدة بريتاندر قد قدم بلاغًا ضد حارس المنتجع أم لا، والآن ها هو البلاغ. وابتدأت دورات القضية، الفحوصات التى لا حصر لها، والأسئلة والاستجوابات التافهة، والمرور بدرجات التقاضى المتعددة بالجهات القضائية المختصة، حتى الوصول إلى المحكمة العليا، وعندما نصل بعد لأى إلى تلك النقطة، تكون دلوعتنا قد أنجبت خمسة أطفال، بصرف النظر من أى أب جاءوا. إن واجب العدالة الأعلى هو منع حدوث الشىء قبل وقوعه. اغتصاب! وأين؟ فى وادى الفوضى!! ذلك هو أكثر الوسائل طبيعية للعلاقة الجنسية فى تلك القرية. إنه ليس بالغبى أو الأحمق

حتى يتسرع فى دراسة الموضوع. دس البلاغ تحت كومة من البلاغات الأخرى التى لم تدرس بعد، وفى المساء وهو فى الحانة، سأل ممثل الحكومة عما إذا كان العمدة قد جاءه. هز ممثل الحكومة رأسه وهو يدخن. الرجل الطيب وابنته وكلبه، قصة ظريفة مرحة، قال القاضى ووزع أوراق اللعب. يجب أن يختفى الكلب حتى تهدأ المقاطعة.

ظل العمدة متصلبًا فى موقفه لا يتزحزح. تنقل من محام إلى محام ومن عضو مجلس وطنى إلى عضو مجلس وطنى آخر، حتى وصل إلى محاميين اثنين بمكتب مجلس المقاطعة، دون نتيجة، لم يود أحد أن يساعده. لقد اختفى البلاغ، يجب أن يضع نفسه مكان قاضى الفحص، فهو غارق فى البلاغات حتى شوشته، كما أن العمدة ليس عنده ما يثبت مبالغات إلزى، وبلاغ جديد سوف يزيد الموقف تعقيدًا، لم يبق سوى تنفيذ قرار قتل الكلب. لم يأخذ العمدة الموضوع مأخذ الجد، حتى بعد أن صدر الأمر للمرة الثالثة للشرطى لوستنفايلر بأن ينفذ حكم قتل الكلب. أخذ بندقية الخدمة من على الحائط، انطلق بالسيارة الجيب حتى التقاطع، ثم سار ببطء إلى أن وصل القرية. فى مدخل القرية كان العمدة واقفًا، وبندقيته فى ذراعه أيضًا. وبجواره يجلس مانى. توقف الشرطى. فكر، لو أنه أطلق الرصاص على الكلب، سوف يطلق العمدة الرصاص عليه. السؤال هو: هل يمكن أن يطلق الرصاص على الكلب بينما يقف العمدة بجواره؟ وماذا لو أنه أصاب العمدة بدلاً من الكلب؟ فكر الشرطى. ترى، هل هناك قواعد فى لائحة الشرطة تنظم مثل هذا الموقف؟ كان عنده شعور غامض

بأن هناك قوانين كثيرة فى لائحة جهاز الشرطة تنظم مثل هذه المواقف الحساسة. ولكنه لا يعرف بالضبط أية حالات وأية قوانين. وهكذا ظل الوضع كما هو عليه لمدة ساعة كاملة، الشرطى من ناحية فى مواجهة العمدة والكلب فى الناحية الأخرى. أحس الشرطى بالجوع، أخرج بسكوتة من جيبه وابتدأ فى الأكل. هز الكلب ذيله. وضع الشرطى يده فى جيبه ثانية وأخرج بسكوتة وألقاها للكلب، سوف يعمل ذلك على تهدئته، من قبل أن يقتله. وضع العمدة يده فى جيبه وأخرج بسكوتة هو الآخر. ثلاثتهم يأكلون البسكوت. العمدة والكلب والشرطى. كان الكلب أسرعهم فى التهام البسكوت. لم يصل الشرطى بعد إلى حل، يمكنه من أن يقتل الكلب. وهكذا ظل الوضع كما هو عليه لمدة ساعتين كاملتين، كل فى مواجهة الآخر. لو أنه طلب من العمدة أن يتنحى جانبًا، عندئذ يجب عليه ألا يطلق الرصاص على الكلب مباشرة، فلو أنه أطلق الرصاص على الكلب مباشرة، فسيطلق العمدة الرصاص مباشرة عليه، ولو أنهما أطلقا الرصاص سويًا فى نفس اللحظة، عندئذ سيقتل بالتأكيد كل من الشرطى والكلب. لقد تعلم فى التدريبات، أنه يمكن للشرطى أن يموت أثناء تأديته الواجب من أجل الوطن، وليس من أجل كلب، هذا ما لم يسمع به طوال حياته، فالكلب ليس الوطن. لكن، لو أنه طلب من العمدة أن يتنحى جانبًا، دون أن يطلق الرصاص على الكلب، وتنحى العمدة بالفعل جانبًا، دون أن يطلق الرصاص عليه، عندئذ يمكنه أن يطلق الرصاص على الكلب، لكن، لأن الكلب أكثر سرعة منه، فسوف ينقض الكلب عليه، قبل أن يطلق الرصاص. وهكذا ظل

الوضع كما هو عليه لمدة ثلاث ساعات، كل فى مواجهة الآخر. بعدها، عاد لوستنفايلر إلى سيارته الجيب.

ما أن علق الشرطى بندقيته على الحائط، حتى طلبه ممثل الحكومة فى التليفون، ليسأله عما إذا كان قد قتل الكلب. هز الشرطى رأسه بالنفى. هل ما زال معه على الخط، سأله ممثل الحكومة، بالطبع، أجاب الشرطى. فسأله لماذا لم تجب اذن. لقد أجبت، رد الشرطى، لقد هززت رأسى بالنفى. يعنى لم تقتله، زمجر ممثل الحكومة. لقد كان العمدة واقفًا بجوار الكلب، قال الشرطى. فسأله إن كان العمدة قد هدده. لو أنه حاول قتل الكلب، كان سيهدده بكل تأكيد، أجاب الشرطى. إن كان قد حاول أن يقتل الكلب، سأله ممثل الحكومة غاضبًا بصوت عال لدرجة، جعلت الشرطى يبعد سماعة التليفون عن أذنه. ماذا كان السؤال، كان الصوت عاليًا، لم يفهم شيئًا مما قال، رد الشرطى. كرر ممثل الحكومة سؤاله برقة مبالغ فيها. لم يتمكن من ذلك، خوفًا من أن يصيب العمدة، أجاب الشرطى. وضع ممثل الحكومة سماعة التليفون. بعد مرور يومين، فى الساعة الثالثة فجرًا، ظهر الجاويش بلازر، رئيس نقطة شرطة القرية المجاورة ومعه ثلاث رجال شرطة آخرين من نقطة الوادى، ايجلر وستوكى وهايمتلر. كل منهم يحمل على كتفه بندقية الخدمة. كان لوستنفايلر يجهز قطعة من اللحم المقدد المعشق بدهن الخنزير، مع القهوة باللبن، متى سيطلع النهار، تساءل الجاويش. ليس قبل الخامسة، أجاب لوستنفايلر وقدم لكل منهم بيضة مقلية. فى خلال ساعة، يبدأ التحرك، أكد الجاويش. حتى لا يلحظنا أحد. ساعتها يكون الكلب ما زال راقدًا

فى كوخه أمام منزل العمدة. فنطلق عليه الرصاص، جميعنا فى نفس واحد، وننتهى من المهمة. وماذا إذا لم يخرج الكلب؟ سأل ايجلر. ربما لم يكن فى الكوخ أصلاً، قال ستوكى، بينما أكد هايمتلر أنه يراهن على أنه فى المطبخ. واصل لوستنفايلر التهام اللحم بشهية واضحة، وقدم لكل واحد منهم بيضة مقلية ثانية. سنرى، قال الجاويش ورشف آخر رشفة من قهوته. هذا هو وقت الشنابس، قال ستوكى. أرجو ملاحظة أننا فى الخدمة، فى مهمة رسمية، قال الجاويش بلازر. الجو فى الخارج شديد البرودة يا حضرة الجاويش، قال هايمتلر، أى نوع من الشنابس عندك؟ سأل الجاويش. كرويتر، أجاب لوستنفايلر. لابأس من كأس واحدة. لم يتحركوا إلا بعد أن أجهزوا على الزجاجة. فلتحضر زجاجة أخرى معك، قال الجاويش للوستنفايلر بصعوبة. كان الظلام دامسًا، وكانوا يتحسسون طريقهم أثناء السير. من بعيد، كانت تسمع خشخشات مياه النهر فى الوادى. البرد شديد، قال اجلر، كما توقعت، قال هايمتلر. وعليكم أن تقتلوا الكلب، قال ستوكى متذمرًا. الصعود شاق، أكد الجاويش. شاق جدا الطريق إلى القرية، أكد لوستنفايلر، لكننا على الطريق. هذا هو وقت الشنابس. ودارت الزجاجة على الجميع الواحد بعد الآخر. سمعت حشرجات موتور قادمة فى اتجاههم من الناحية الأخرى. أفسحوا الطريق جانبًا. مر أوتوبيسان بسرعة وقد أضاءوا الكشافات المبهرة. لقد أخطأوا الطريق، فالأوتوبيسات قادمة من المنتجع، كل إنسان يخطىء، علق لوستنفايلر. إنه يحتاج لكأس آخر من ذلك الكرويتر المنعش، قال الجاويش، كانت الأوتوبيسات مليئة بالرجال، قال اجلر،

ترى ماذا كان يفعل كل هؤلاء الرجال فى المنتجع، والمنتجع مغلــق؟ فتح لوستنفايلر الزجاجة. قال إن المنتجع كان مليئًا بــالنزلاء طــوال فصل الشتاء. لو أن الأوتوبيسات قد توقفت، لكان الصيد ثمينًا، قــال هايمتلر. بالتأكيد، أكد ستوكى. قال الجاويش أنه لا يود أن يتدخل فى موضوع المنتجع، فهذه مهمة العدالة، حتى العدالة نفسها لم تتدخل فى موضوع المنتجع، الآن طلع نور الصباح، وعليهم أن يقتلوا الكلــب، فالقرية تقع على الناحية الأخرى من الوادى. يمكــنهم الآن الرؤيــة بشكل أفضل، وعندما وصلوا للقرية، كانت الرؤية واضحة. صــمت مخيف يخيم على القرية. لحسن الحظ ما زالوا نائمين، قال ســتوكى. جميع أهل القرية فى صف العمدة، يجب أن نأخذ ذلك فى الاعتبــار، قال لوستنفايلر. الشنابس اللعين، قال الجاويش، دائمًا يرتعش عنــدما يفرط فى الشراب، عليه أن يجرع كأسًا أخرى فــى هــذه البــرودة القارصة حتى تتوقف تلك الرعشة. الآن فرغت الزجاجة عن آخرها، أكد لوستنفايلر. وقفوا أمام منزل العمدة. كان كوخ الكلب خاويًا. عند عتبة باب المنزل، يرى شعاع من الضوء. أدار الجاويش أكرة الباب بحذر. لم يكن الباب مغلقًا. وسلاحه فى وضــع الاســتعداد، ضــرب الباب بقدمه اليسرى فانفتح. كانت إلزى تقــف فــى المطــبخ أمــام البوتاجاز مرتدية قميص النوم. تفضلوا، ادخلوا، قالت إلزى. بحــذر، دخل رجال الشرطة الواحد تلو الآخر. بكعب البندقية، خبط الجاويش الباب نصف المفتوح المؤدى إلى غرفة الجلــوس، تراجــع للخلــف، وأمر إلزى بأن تشعل الضوء. لم يكن الكلب فــى غرفــة الجلــوس. تقدمى، أمر الجاويش، أضاءت إلزى الأضواء جميعها، حتى ضــوء

الزريبة. كان رجال الشرطة الأربعة الآخرين ينتظرون فى المطبخ. عاد الجاويش مع إلزى إلى المطبخ. الكلب ليس موجودًا بالمنزل، أين يكون إذن. إنه مع أبى فى الخارج، أجابت إلزى. ومتى سيعود جناب العمدة ومعه الكلب؟ عندما تنصرفون، أجابت إلزى. يمكننا الانتظار، أكد الجاويش. كان هناك دكة بجوار باب المنزل، خلفها صف من النوافذ مغلقة الشيش. جلس الجاويش على الدكة، كذلك رجال الشرطة الأربعة، ممسكين بأسلحتهم فى وضع الاستعداد. برد شديد بالخارج، قال هايمتلر. ربما يمكن لإلزى أن تصنع لنا بعض القهوة، قال لوستنفايلر. يكون ذلك لطيفًا منها، قال اجلر. لطيفًا جدًا، أكد ستوكى. قهوة سريعة؟ سألت إلزى. قهوة سريعة، وافق الجاويش هازًا رأسه. جلسوا يراقبون إلزى وهى تصنع القهوة. سكر كثير؟ سألتهم إلزى، كثير، رد الجاويش وكثير من شنابس الكرز. كان عليهم أن ينتظروا. ارتشفوا القهوة، من فناجين كبيرة. فنجان آخر؟ سألت إلزى. فنجان آخر، قال هايمتلر. ابتدأت فى تجهيز القهوة مرة ثانية. أنت فتاة لعوب، قال الجاويش. أنا لست فتاة لعوب، ردت بهدوء. إنه ليس سىء النية، قال الجاويش، أخبرينى بصراحة، مع كم من نزلاء المنتجع قد مارست اللعبة إياها؟ لم يكن هناك أحد، سوى فانتسنريد، قالت إلزى وهى تصب القهوة. بعض الشنابس، أكثر، قال ستوكى. صبت إلزى لكل منهم كأس شنابس. الآن أخبرينى كم كان عددهم؟ سأل الجاويش بإصرار. لم يكن الحارس هو الذى فعل ذلك، قال لوستنفايلر، لقد شربت معه أكثر من مرة نبيذًا جيدًا moulin-a-vin، وكثيرًا ما تنزهنا سويًا. لكنه لم يقل ذلك لأبيها، قالت إلزى. إذا كان

الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب، رد لوستنفايلر. لو أنه قال ذلك في حينه، لما كان من الضروري أن تقتلوا مانى، قالت إلزى. وما كنا نحن هنا، أضاف الجاويش. كان أفضل كثيرًا، لو أنهم لم يكونوا هنا، وأن تتركوا مانى فى حاله، قالت إلزى. الكلب كلب والفتاة اللعوب فتاة لعوب. لن يترك أحدهما فى حاله، علق الجاويش وهو يرتشف آخر نقطة من قهوته. الآخرون أيضًا، ارتشفوا قهوتهم حتى آخرها. وضع اجلر فنجانه على حافة النافذة وقال، رائع، وأسند بندقيته على الحائط، وأضاف: لو كأس شنابس آخر، تكون آخر حلاوة. لقد فرغت الزجاجة، لكن هناك زجاجة أخرى لم تفتح، فى غرفة نوم والدها فى الطابق العلوى، قالت إلزى. وماذا هناك بجوار غرفة نوم جناب العمدة، سأل الجاويش. غرفتى، أجابت إلزى. جميل، نصعد كلنا معها، قال ستوكى. وماذا يريدون أن يفعلوا كلهم فى الطابق العلوى، سألت إلزى مندهشة. نشرب الشنابس ونشربك أنت أيضا، قال هايمتلر. هكذا عينى عينك، قالت إلزى بهدوء، سنعجبك جدًا، أفضل من نزلاء المنتجع بكثير، قال اجلر. أنتم جبناء ردت إلزى، خمسة رجال ضد كلب. نهض الجاويش واقفًا. هم لا يخافون الكلب، والكلب يجب أن يقتل وسيقتل. على يد الشرطة. والآن إلى الطابق العلوى معها. انها ليست داعرة، قالت إلزى. لم يقل أحدًا ذلك، لكنك فتاة شهية ولعوب. فكرت إلزى، نظرت إلى الجاويش بتحد. نظرت شعرها للوراء وقالت، ستصعد إلى الطابق العلوى مع أقوى واحد فيهم. هو الأقوى، أكد الجاويش. ليس عندك دليل، قالت إلزى، أنت الأقوى فى الشرب. وما هو الدليل الذى يقنعك، سألها الجاويش.

الضغط، قالت إلزى بجفاف، الذى يحرز أكثر عدد مرات ضغط، هوالأقوى. الضغط، صاح هايمتلر، أنا عضو في اتحاد الشرطة للضغط، مؤكد هوالأقوى. وضع سلاحه على الحائط بجوار سلاح اجلر، فتح زرائر المعطف، خلعه ووضعه على الدكة، ثم وضع المسدس على حافة النافذة، حتى لا يعوقه، وانبطح على الأرض وابتدأ فى العد بصوت عال، واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة وهو يمارس تمرين الضغط. مؤكد هايمتلر سكران، قال الجاويش بصوت عال، ثم وضع بندقيته بجوار البندقيتين الأخريين، خلع معطفه، وضع مسدسه على حافة النافذة، وابتدأ فى ممارسة الضغط، واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة، بينما هايمتلر كان قد وصل إلى التاسع عشر، وعندما وصل إلى ثلاثين، كان اجلر وستوكى فى حلبة الضغط. أما لوستنفايلر، فقد غلبه النوم وهو جالس على الدكة. البرودة والشنابس فى البداية، ثم الدفء والقهوة باللبن. فتح عينيه. اندهش عندما رأى الجاويش بلازر وزملائه رجال الشرطة اجلر وستوكى وهايمتلر منبطحين على أرضية المطبخ يمارسون الضغط، دون أن يفهم لماذا يفعلون ذلك، نهض وتمطع، خلع معطفه ووضعه مع المعاطف الأخرى، وضع المسدس بجوار المسدسات الأخرى، وانبطح مرة واحدة على أرضية المطبخ يمارس الضغط هو الآخر، فانزلق على بطنه واستغرق فى النوم. لم يعد قادرًا على أكثر من ذلك، قال الجاويش ونهض واقفا. أنا أيضًا، قال ستوكى ونهض بصعوبة. عندما يحتسى المرء هذه الكمية الكبيرة من القهوة، كان يتصبب عرقًا. استسلم اجلر هو الآخر. الشنابس هو السبب، اللحم والبيض المقلى.

كانوا يشاهدون هايمتلر بغيرة وحقد، وهو ما زال مستمرًا يمارس الضغط، بإيقاع بطيء، ويعد بصوت منهك، ثلاثة وسبعين، أربعة وسبعين، خمسة وسبعين. كفاية، كفاية يا هايمتلر، صرخ الجاويش، أنت كسبت. خلاص. ستة وسبعين، قالها هايمتلر وهو يلهث، ثم حاول أن ينهض. انحنى بصعوبة، ثم ترنح فى اتجاه السلالم، وجلس على الدرجة الثانية من السلالم منهكًا خائر القوى، ثم قال أنه يجب أن يسترد أنفاسه. مستحيل أن يقدر على فعل شيء مع إلزى وهو فى هذه الحالة. على الجاويش بلازر أن يقوم بهذه المهمة الصعبة بدلاً منه. كان لوستنفايلر ما زال راقدًا على الأرض يشخر بصوت عال. على إلزى أن تصعد معه إلى فوق، قال الجاويش، امرأة لعوب شهية كتلك، لم يجربها من قبل طول حياته. لكنك لست الأقوى، قالت إلزى، والأقوى يجب أن يسترد أنفاسه، وهى لم تجرب قط رجلاً غبيًا مثله. الجاويش بلازر كان يرغب فى أن يرد عليها، لكنه ظل فاتحًا فمه من الدهشة، واقفًا متسمرًا فى مكانه: أمام الخمس بنادق المسندة على الحائط، والخمسة مسدسات على حافة النافذة، والخمسة معاطف، يجلس الكلب مانى بحجم العجل، مكشرًا عن أنيابه. على أرضية المطبخ، ما زال لوستنفايلر مستمرًا فى شخيره. عليها أن تبعد الكلب، أمرها الجاويش. زام الكلب. أرجوك، أبعدى الكلب، قال الجاويش بلهجة شديدة التهذيب. تريد أن تقتل مانى، قالت إلزى، ها هو أمامك. اقتله. إنه يجلس أمام أسلحتهم، قال الجاويش، ويستحيل الوصول للمسدسات. أنت لا تخاف منه بالطبع، يمكنك بسهولة أن تأخذ الأسلحة، قالت إلزى. تقدم الجاويش خطوة إلى الأمام، نبح مانى نبحة

قصيرة خشنة، توقف الجاويش. لو أنها أبعدت مـــانى، لأمكـــنهم أن يأخذوا أسلحتهم ومعاطفهم ويتركوا مانى فى سلام. أعرف ذلك، قالت إلزى، ثم يأتى غدًا عدد أكثر من رجال الـــشرطة ويقتلـــون مـــانى. القانون قانون. فعندما يجب على مـــانى أن يمـــوت، فليمـــت بعـــزة وكرامة. سوف تطلقه الآن عليه، ليعض حضرة الجاويش، فى الخلف أو الأمام، كما يحب مانى، عندئذ يطلق الآخرون عليـــه الرصـــاص. سألها الجاويش، إن كانت قد جنت. عندئـــذ تكـــون أشـــبه بمجـــزرة زيمباخ، قالت إلزى. إنهم ليسوا بأبطال الأساطير، بل رجال شرطة، قال هايمتلر، الذى ما زال يجلس على السلالم، محـــاولاً أن يـــنهض فيتوجع متألما وقد تشنجت عضلاته. هذا ليس لطيفًـــا منـــك، غمغـــم الجاويش. أنت أيضًا لم تكن لطيفًا معى ولا مع مانى، أجابت إلـــزى، عليهم أن يخرجوا الآن من الباب الخلفى. ما زال لوســـتنفايلر راقـــدًا يشخر على أرضية المطبخ. سنعود ثانية، قال الجاويش، وخرج مـــع اجلر وستوكى وهايمتلر من الباب الخلفى.

لم تأت الشرطة هذه المرة، بل جاء الجيش. كان ممثل الحكومـــة لا يقل عنادًا عن العمدة، لم يكن رئيسًا لأجهـــزة القـــضاء وأجهـــزة الشرطة فحسب، بل كان القائد العسكرى الأعلى للبلدية فى المقاطعـــة كلها. ولما كانت هذه المنطقة تقع فى مجـــال اختـــصاصه وســـلطته، فلابد لهذه المشاغبات أن تتوقف، لذلك اقترح على رئـــيس المنطقـــة الأعلى ورئيس أركان الحرب توسيع سلطاته حتى وادى الفوضـــى، فالناس هناك يشعرون بأنهم مهملون من الحكومة. وعلى اعتـــراض رئيس المنطقة، أنه يستحيل اختراق هذه الأشجار المدببة، وأن الروس

قد اخترقوا القوقاز بواسطة متسلقين محترفين، أجاب بأنــــه يجــــب أن نحاول اختراق وادى الفوضى وتمشيطه مهمـــا كانـــت الـــصعوبات، بصرف النظر عن حال الوادى، كما أنه يجب تدريب الجنود تـــدريبًا كافيًا.

"بفيلق كامل؟" سأله رئيس أركان الحرب بجبين مقتضب. كـــانوا فى الغرفة الخلفية من الحانة يسرفون فى الشراب. "ومن سوف يكون الجواسيس الروس؟ يجب وضع علامة تميزهم بشكل ما "

"كلب رئيس البلدية" قال ممثل الحكومة "يجب أن يقتل، بناء على قرار قاضى المقاطعة".

هز رئيس المنطقة الأعلى رأسه بعدم الموافقة " الكلب موضــــوع الشرطة "

"ليس عندما يكون جاسوسًا روسيًا" قال ممثل الحكومة

فكر أركان الحرب: "هل يعرف الكلب ذلك؟"

"يجب أن نسأله أولاً" فكر رئيس االمنطقة الأعلى "لو أنـــه علـــى الكلب أن يلعب دور الجاسوس، فلابد أن يوافق مبدئيًا على ذلك، أمـــا أن نقتله هكذا ببساطة، ثم نؤكد بعدها أنه جاسوس روسى، هذا غيـــر عادل"

"لا أدرى، هل من حق الجيش مبدئيًا، أن يقتل كلبًا مـــن كـــلاب الوطن" أشك فى ذلك، علق أركان الحرب

"إنه جاسوس" أكد ممثل الحكومة وهو يعدل زيه العسكرى

قال رئيس المنطقة الأعلى بتردد: "يمكننا أن نوافق على ذلك، لو أن الكلب يقوم فقط بدور الجاسوس. لكن أن نقتله؟ فى مناورة حربية؟ لا بأس أن نتظاهر بذلك، لكن أن يحدث ذلك حقيقة، فهذا غير معقول.

ومن أجل خاطر ألا يغضب ممثل الحكومة، وافق رئيس المقاطعة الأعلى فى النهاية على بدء العملية وقتل الكلب. هنا ادعى ممثل الحكومة بأن الجنود يقومون بتدريبات ليلية، واندفع بالفيلق إلى الوادى. فى الصباح الباكر، كانت القرية محاصرة بالدبابات وقد أغلقت كل مداخلها، تحت ستار أنها مناورات للتدريب على البحث عن الجواسيس الروس، وقام أحدهم بارتداء ملابس تشبه الكلب مانى، بعد أن قاموا بتفتيش منزل العمدة، كذلك زريبته، قام الجنود المسلحون بتفتيش المنازل الأخرى، انتزعوا الناس من أسرتهم، والماشية من الزرائب، وفتشوا بهمة كل الزوايا تفتيشا دقيقا، قلبوا كل شيء رأسًا على عقب. انتزعت الكتيبة أحشاء القرية، ومشطت كتيبة أخرى الغابة خلف المنتجع، بينما حوطت الكتيبة الثالثة المكان كسلسلة محكمة، ثلاث طلقات من مدفع دبابة أنهت عملية البحث. اكتشف أحد الضباط بمنظاره من برج الدبابة شيئًا ما يتحرك على أحد صخور الهضبة

"تعال هنا" صعد جندى إلى الضابط، فناوله المنظار

"هناك"

مشط الجندى المشهد كله بالمنظار، ثم قال "كلب"

"الجاسوس" قال الضابط

"لا أدرى، إنه لا يتحرك" قال الجندى

"إنه يتظاهر فقط. إنه يلعب دوره بشكل ممتاز" رد الضابط موضحًا

"إن كان هذا رأيك" رد الجندى

"ثلاث طلقات. اضرب!" أصدر الضابط الأمر

أطلق الجندى ثلاث طلقات فى الاتجاه المحدد، وبعد أن هدأ دخان الطلقات، اتضح أن مانى والصخرة التى كان يجلس عليها قد نسفا.

"أرأيت. لقد أجهزنا عليه. انتهت المهمة" قال الضابط وهو يضحك

كان ممثل الحكومة يستقر فى زيه العسكرى وهو فى الحانة كأحد نبلاء القرون الوسطى.

"ممتاز" قال ممثل الحكومة، عندما أخبره الضابط بانتهاء المهمة، وأمر بإحضار زجاجة شمبانيا "هذا هو دور الجيش. هناك الكثير من العجول يجب التخلص منها"

انتهت المناورة عند هذا الحد، وكان على قسم العلاقات الخارجية أن يعتذر للمقاطعة المجاورة، عما سببته الثلاث طلقات، التى انطلقت من مدفع الدبابة السويسرية من تدمير لقمة الهضبة، التى تطل من ناحية على المقاطعة المجاورة وكادت تهدد حياة اثنين، كانا فى تلك اللحظة يتسلقا الجبل من الناحية الأخرى.

أحس أهل القرية بالإهانة مرتين، مرة من حصار الجيش لهم، ومرة من مسئولى المقاطعة الذين لم يهتموا بهم على الإطلاق وهم فى هذا المأزق، فلقد عاملوهم كالنفايات التى تفوح منها الروائح الكريهة، فى هذا الركن المنسى المهمل من العالم.

الآن أصبحت الأشياء لا تعنى العمدة. فلا توجد عدالة أصلاً فى وادى الفوضى، وعلى أهل القرية أن يعرفوا ذلك. وبشكل عام، أصبح العمدة، منذ غزو الجيش للقرية، أكثر لطفًا فى تعامله مع أهلها، كان يختفى كل يوم فى الغابة المجاورة، ويعود وفى عينيه نظرة خبيثة ماكرة. كانت أرملة هونجربولر، هى الوحيدة التى سبب لها قتل مانى بمدفع الدبابة إزعاجًا شديدًا. ذهبت الأرملة إلى قاضى المنطقة بالقرية المجاورة، كان كاتب القاضى ينظف أنفه. قال لها أن الكلب كلب، حتى لو سقط قتيلاً من أجل الوطن، فهذا أفضل بالنسبة له، عندئذ تكتسب حياة الكلب على الأقل معنى ما، أما فيما يخص فون كوكسن، فقد سحب دعواه بالتعويض، عليها أن تخبر العمدة بذلك، فهذا غريب بالنسبة لرجل من لشتنشتاين مثل فون كوكسن، والآن يمكن للعمدة أن يفرح ويهلل، لا يمكنه أن يطلب أكثر من ذلك، وإلا كان طمعًا ومكابرة.

وسط الشعور بالغضب المسيطر على أهل القرية، كان (بيت الفقر) يحتفل بالازدهار الاقتصادى. عاد ثانية موسم الصيف. كان المنتجع مكتظًا بالنزلاء.

نامت جموع المليونيرات فى غرف صغيرة تحت سقف ملحق المنتجع، على أبراش لو وجدت فى السجون، لاعترضت عليها

منظمات حقوق الإنسان، لكونها غير إنسانية، من جميع النوافذ كانت تسمع الضحكات والقهقات بجميع أنواعها وهى تتحدر فى اتجاه القرية المسكينة. حلت بركة الأب الكبير وألقت بظلالها. فى ليلة صيفية دافئة، حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، خرج موسى ميلكر يتمشى فى حديقة المنتجع، متعبًا من مهنته الشاقة كقسيس راع للنزلاء. السماء المرصعة بالنجوم بأضوائها الباهرة، أثارت فيه ذكريات نهر النيل. كان خطئًا، ما فعله مع أوتيلى، كان يفضل لو أنه فعله مع سيسيلى، استبعد الفكرة بسرعة، لم يكن موسى سعيدًا بالفقر. هو الذى وضع نفسه فى هذا الوضع، بل لقد لقب بموسى المسكين، وكان يستحق أن يعيش فى (بيت الثراء) فى فيلته فى جرينفيل. كان يقشعر بدنه، كلما تذكر الشتاء الماضى. الضباب الكثيف - غريبة تلك التقلبات الجوية فى منطقة جرين - الروائح الكريهة التى تنبعث من مصانع نيدرآلمن الكيماوية، وزيادة على ذلك، زوجته سيسيلى وهى تدخن السيجار وتأكل الشوكولاتة وتقرأ الروايات. لقد نفذت ما قاله لها ذات يوم فى لحظة حب، من أن كل ما يملكه يخصها، ووقع بالفعل على ذلك، فأصبح كل ما يملكه يخصها. مرة ثانية تثار ذكريات نهر النيل. حقيقة، كان مستمتعًا بوجوده فى (بيت الفقر)، فلقد كان يعمل ليل نهار، يعطى الدروس الدينية، ويلقى بالعظات تمجيدًا للفقر ومتعته. كان يفعل ذلك بهمة لم يعرفها النزلاء فيه من قبل، وبمبالغة جعلت النزلاء يكرهون بالفعل كونهم أثرياء، ويرتعشون من الخوف من مصيرهم، مما ضاعف من استمتاعهم بكونهم فى (بيت الفقر)، مساعدة الآخر، الابتسام فى وجه الآخر، كل منا للآخر. لو أن الأكل أفضل قليلاً، فكر موسى، هذه المرة أسوأ كثيرًا من الموسم

الماضى، إن أكل أفقر فقراء هذا البلد، يعتبر طعامًا فاخرًا بالنسبة لما يقدم للمليونيرات فى (بيت الفقر). وصل موسى إلى نهاية حديقة المنتجع من الناحية الشرقية، كان مستغرقًا فى أفكاره، بينما يسقط الضوء على وجهه وعلى شعره الزنجى الخشن. تنساب من أعلى طابق فى البرج الشرقى موسيقى ناعمة، تراجع موسى فى الظل ودلف داخل المنتجع. على باب المدخل الجانبى، كان يقف كريهنبول

"من هناك فى البرج الشرقى؟" سأله موسى

"لا أحد" أجابه كريهنبول.

"لكننى أرى ضوءً هناك، وأسمع شخصًا ما يغنى" قال موسى.

"غير ممكن. فالغرفة العليا فارغة. غير مسموح تأجيرها أصلاً. لا أدرى لماذا، ليس عندى أية فكرة. كما أننى لم أدخلها على الإطلاق " قال كريهنبول .

عاد موسى إلى الحديقة مرة ثانية. لم يعد هناك ضوء فى أعلى الجناح.

كانت حديقة حيوان كينجستون بجامايكا تنتظر ورود ثعبانين نادرين من نوع Boa constrictor وعندما فتح الصندوق، كان فارغًا. بعد مرور أسبوعين، وجد الثعبانان فى فندق يبعد حوالى ساعتين بالسيارة من كينجستون. كان الفندق، مختفيًا وسط أدغال كثيفة على حافة غابة ممطرة، منذ أسبوعين والمطر الخفيف يتساقط بلا توقف، مما دفع بالنزلاء لأن يغادروا الفندق ويرحلوا. كان الفندق محاطًا بسعف النخيل الحاد الذى يشبه السكاكين، حيث تموجها الرياح

يمنة ويسرة. وكانت الحوائط متهالكة وشبه متهدمة، مما جعل الرياح والأمطار تندفع بسهولة داخل الفندق. كان كل شيء مبللاً، وكانت سباطات الموز تنتشر فى كل مكان، معلقة على الحبال، موز كبير وموز صغير. كانت غرفة الطعام تقود إلى مكتبة يفصل بينهما باب سميك. كميات كثيرة من الكتب التى يعلوها العفن، على الأرضية سجادة منقوعة فى المياه، خشب الأرضية منتفخ من المياه التى تشربها، ينبثق الفطر بين الشقوق فى جميع الأمكنة. يجلس صاحب الفندق فى غرفة الطعام، هو وعائلته والطباخة يمصمصون دجاجة. كان صاحب الفندق فى حوالى الخمسين من عمره، اسكتلندى، ذو شعر أحمر، بلا رموش، ومليء بالنمش، وكانت زوجته مولاتين امرأة جميلة، أصغر منه بخمسة عشر عامًا، ابنه فى حوالى العشرين، أسود اللون، شعره الأحمر فقط، هو الذى يؤكد أن الاسكتلندى هو أبوه، أما الطباخة فكانت هندية حمراء، قزم ضامر الجسم. سمعت خشخشة، حفيف صادر من ناحية الشارع. اندفع الثعبانان النادران، الذى يبلغ طول كل منهما بضعة أمتار داخل غرفة الطعام، وانزلقا على المائدة، أحدهما أبيض ناصع كالثلج، والآخر رمادى محمر، عليه بقع بيضاوية رمادية مصفرة تمتد على طول خطوط داكنة، واختفيا داخل الصالون أمام الشرفة، التى تؤدى إلى الغرف العليا للنزلاء. تسمرت الأسرة فى مكانها من الفزع، بينما كانت الطباخة مشغولة فى ورك الدجاجة. "Oh my God" قال صاحب الفندق، ثم هب قافزًا فى اتجاه أسلحته القديمة، أخذ بندقية وأعطى البندقية الأخرى لابنه، "Oh my God" غمغم صاحب الفندق وهو فى حالة شديدة من الاضطراب، تسلل إلى الشرفة ثم فتح الأبواب عن آخرها.

سمع صوت بوق سيارة آتيا من الشارع، دخل ساعى البريد يحمل كيسًا مليئًا بالخطابات وقال "الخطابات" وأفرغ الكيس على أرضية غرفة الطعام. مولاتين ما زالت جالسة أمام المائدة متسمرة بلا حراك. تناولت الطباخة الدجاجة الثانية وابتدأت فى تقطيعها وأكلها. أحضر ساعى البريد ثلاثة أكياس أخرى وأفرغها. بحث الأب والابن فى الغرفة الأولى، خرجا إلى الشرفة، خلف الحافة، تسمع أصوات أزيز وحفيف وحشرجات ولهاث. هناك شىء يتقلب بعنف فى حمام السباحة، يقفز ناثرًا الماء، لكن صوت تساقط المطر كان يشوش عليه، فكان من الصعب التعرف عليه بدقة. جلس الزنجيان اللذان قد عينهما الاسكتلندى لمراقبة حمام السباحة، مستندين على الحائط وهما يغمغمان بالانجليزية

"The great old man. The great old man" الأب الكبير، الأب الكبير، وهما خلف الحائط، سمع الاسكتلندى خشخشة. أمام المكتب، يجلس رجل عدو الشمس (ألبينو) مرتديًا حلة سهرة بيضاء (سموكنج) يكتب على الآلة الكاتبة، ويقول، عليهم أن يحضروا البريد، لقد وصل. أمر الاسكتلندى ابنه بأن يحضر البريد. وجد الابن كومة من الخطابات ما زالت ملقاة على الأرض بجوار أمه التى ما زالت فى حالة ذهول، والخادمة التى ما زالت تأكل فى الدجاجة، والتى لم تلاحظ شيئًا، فالأمر سيان بالنسبة لها، أحضر سلة وملأها بالخطابات لآخرها ووضعها بأدب أمامه. طلب منه عدو الشمس أن يلقى بالخطابات فى حمام السباحة ويذهب ليحضر باقى الخطابات. ما زال هذا الشىء يقفز فى الماء بعنف وينثره، دون أن تزعجه الخطابات

التى تطفو فوق المياه حوله. أفرغ الابن سلة الخطابات فى حمام السباحة، دون أن يلتفت. ما زال الاسكتلندى يقف هناك. هل تريد شيئًا آخر؟ سأله عدو الشمس، بعد أن أفرغ الابن السلة الأخيرة فى المياه، ثم خرج الأب والابن إلى الشرفة.

"Oh my God" همهم صاحب الفندق. ثلاثة أيام متتالية يجىء فيها ساعى البريد. ثلاثة أيام، تفرغ الخطابات من السلة فى حمام السباحة. كان يرقد فى الفراش مرتديًا البرنس وهو يستمع إلى صوت الآلة الكاتبة، التى يكتب عليها جبريل، وإلى صوت تساقط المطر، وهفهفات سعف النخيل. لم يلق نظرة واحدة إلى الخارج.

ما الذى يخبط هناك، لا يدرى، ما الذى يحدث هذا الصوت، لا يعنيه، ماذا يكتب جبريل، لا يهمه. لقد أملى عليه ردود الخطابات. فى حقيقة الأمر، لم تكن خطابات، بل ألواحًا من الحجر، قام جبريل بحفر الرد عليها. فقد أحضر ألواحًا من الطين، حفر عليها الرد، عملية سهلة بالنسبة لجبريل، فقد كان جبريل يكتب الهيروغليفية على ورق البردى، كما يمكنه أن يكتب العبرية بسهولة، كانت تأتى باستمرار خطابات جديدة. ولأنها كانت جميعها خطابات طلبات ورجاءات وتوسلات، كان يرد فى أول الأمر على القليل منها، تبعًا لمزاجه، وكانت الإجابة بالسلب عادة، غالبًا لأسباب مختلقة غير حقيقية،لكنها تعطى انطباعًا وهميًا مقنعًا للطرف الآخر بأنه وافق على المساعدة، وعندما تعب من الإملاء، أعطى جبريل التفويض، بأن يرد هو شخصيًا على الخطابات، ولما كان على جبريل أن يقرأ الخطابات كلها، حتى يمكنه الرد عليها، نصحه بألا يقرأ الخطابات، وبعد فترة،

كان قد نسى أنه كلف جبريل بأن يرد على خطابات لم يقرأها، كما نسى جبريل نفسه المهمة التى كلف بها، فقد كان يخبط بإصبع واحد على حروف الآلة الكاتبة بشكل عشوائى، حروفًا لا معنى لها. أول الأمر، كان يغير الورقة ويضعها فى المظروف، ويكتب عليه العنوان، أى عنوان يخطر على باله، بعد فترة لم يعد يغير الورقة، بل كانت دائمًا نفس الورقة، ثم ابتدأ يكتب دون ورقة، وفى النهاية بدون شريط للآلة الكاتبة، وأخيرًا كان يخبط فقط ويتكتك على الآلة الكاتبة، وكان الأب الكبير يكتفى بالتكتكة. كانت الخطابات تصل إليه دائمًا وبشكل مستمر، بل وتتزايد، ثم بدأت فى التناقص، لأنهم لم يعرفوا له مكانًا مستقرًا، حتى أن بعض الخطابات، كانت تصله بعد سنوات. صدفة بحتة، أن يصله خطاب من الأرملة هونجربولر، لم يقرأه، ولو أنه قرأه لما فهم فحواه، لقد نسى كل شىء منذ فترة طويلة، المنتجع الذى اشتراه موسى ميلكر بعلومه الدينية الطريفة، لم يكن يعرف حتى أين هو، فى أى نظام شمسى، فى أى كوكب، فى أية مجرة، فجأة راودته الرغبة فى تدخين سيجار، وفى الحال كان السيجار الهافانا بين شفتيه، إن كان هافانا فعلاً، وأن كينجستون تلك موجودة فوق الأرض، وليست فى كوكب آخر غير مادى أو من أى شىء آخر. وقف جبريل وتناول من السلة التى أحضرها ابن صاحب الفندق خطابًا قبل أن يفرغها فى حمام السباحة، مجرد خطاب من الخطابات اليومية، كان هو الخطاب الذى أرسلته الأرملة هونجربولر، مجرد صدفة، صدفة بحتة. أمسك جبريل بالخطاب فى اتجاه الشمس، فاشتعل الخطاب مرة واحدة، رغم أنه كان مبللاً. أشعل به سيجار سيده، الذى أخذ منه نفسًا عميقًا، ثم ألقاه على حصيرة من القش،

فسبب خرمًا فى الحصيرة نتيجة الحريق، والذى من أجله أبلغت الشرطة لإثبات الحالة، فقد هرب النزلاء دون أن يدفعوا الحساب، ما زال الخرم يتوهج وتزداد شعلته رغم البلل، إلا أن رجال الشرطة وصاحب الفندق وابنه ومولاتين والهندية الحمراء هرولوا جميعًا إلى الشارع مذعورين قبل أن يشتعل الفندق بأكمله.

كانت فرصة مناسبة لأن تنهب فيلات المليونيرات المتواجدين فى (بيت الفقر) للاستجمام من أعباء الثراء وأثقاله، فرصة طيبة بالنسبة لمجلس الإدارة فى هذا الصيف، بالرغم من أنهم لم ينضموا لمجلس الإدارة الجديد. كان من الممكن توزيع العمل مع المجلس الجديد بشكل أفضل وأكثر فائدة، لو أن الأمور كانت شفافة. لكنه لا أحد يعرف من الذى قام بتشكيل مجلس الإدارة الجديد. القادة القدامى لم يقولوا شيئًا، ربما هم أنفسهم لا يعرفون. تتناثر الشائعات، بأن الأب الكبير، ربما يكون قد باع مجلسه القديم لمؤسس المجلس الجديد المجهول، بشرط أن يصفى المجلس تمامًا، فهو ينوى أن ينسحب نهائيًا من أعمال البيزنيس ويعيش فى هدوء، أو ربما قام الأب الكبير بشراء المجلس الجديد من المؤسس المجهول، بشرط أن يسمح له بتصفيته، حتى يسيطر على المشهد بأكمله، بينما يؤكد المطلعون، أن المؤسس المجهول للمجلس الجديد ليس سوى يرميا بليال. ولأنه فى حقيقة الأمر لا أحد يعرف بالضبط، طبيعة علاقة يرميا بليال بالأب الكبير، هل هما نفس الشخص؟ مرؤوسه؟ منافسه؟ أو حتى رئيسه؟ ليس هناك سوى تكهنات تزيد الموقف غموضًا، وتفقد ثقة الأعضاء بعضهم ببعض، مما أدى إلى اندلاع حرب شرسة بين جميع

الأطراف، لا أحد يعرف من اشترى من، ومن قتل من. يتزايد بسرعة مذهلة عدد الضحايا فى مانهاتن وفى شيكاغو وفى سان فرانسيسكو وفى لوس أنجلوس، كذلك فى ميكسيكو سيتى وريو وسانت باولو وهونج كونج....إلخ فى محلات الحلاقة، يقف الحلاقون مندهشين فى أيديهم فرشة الحلاقة والموسى فيفاجئون برجال مقتولة غارقة فى دماءها على المقاعد. فى بيوت الدعارة الفاخرة، يفاجىء الخدم وفتيات الغرف وهم يحضرون الإفطار، الشاى أو القهوة، الكرواسون الساخن أو التوست، البيض المقلى باللحم المقدد، أو البيض المسلوق مع عصائر الفواكه الطازجة، بجثث رجال أو نساء أو أزواج، وقد ذبحوا بأناقة المحترف، أو بعض النزلاء الآخرين وقد ربطوا على المقاعد وكممت أفواههم بالشريط اللاصق، أوجثة متفحمة لرجل نحيف فى مدخنة غرفة بهدسون وفى فمه سيجارة ماريجوانا.

أغلق ميكائيل عيادته فى آسكونا، وقام بتجهيز عيادة صغيرة فى المنتجع لفترة الشتاء مستخدمًا المطبخ كغرفة للعمليات. كانوا يطلقون عليه لقبDoc. تسيطر الكآبة على المنتجع بشكل عام، فلا أحد يثق فى الآخر. فى نهاية شهر أكتوبر، تقابل جو ماريجوانا مع جيمى الفحل. كان جناحهما الفاخر مشغولاً، فلقد كان جميع أعضاء مجلس الإدارة موجودين. لم يقابلا بترحاب، بل بشعور عدائى، فقد كان الجميع يخاف منهما. اضطر الاثنان أن يسكنا فى غرفة مزدوجة. فى سجن سنج سنج، كان كل فرد فى زنزانة قائمة بذاتها، قال جيمى الفحل. قضى الاثنان سويًا ليلة واحدة فقط، وفى اليوم التالى كان جو ماريجوانا ينام وحده فى غرفة الغسيل، بناء على رغبته. استمر هناك

لبضعة أسابيع، فقد كان يحتاج لأكثر من عملية جراحية فى وجهه، حتى يعاد تشكيله من جديد. فوجهه الأصلى يمثل مجازفة خطيرة بالنسبة لمجلس الإدارة، كما ذكر له الطبيب. اطمئن الآخرون لذلك، فلقد أصبحوا فى أمان من ناحيته. كانت الجثة المتفحمة فى الغرفة بهدسون ضمن حصته، فلقد كانت جثة أحد أعضاء مجلس إدارة الأب الكبير. لمصلحة من تم ذلك؟ ومن الذى أمر جو ماريجوانا بأن يقتله؟ تنتشر الشائعات بينهم هنا وهناك. يجلس الرجال خلف النوافذ المغلقة، وهم فى حالة ضجر شديد، يلعبون البوكر، يدخنون، يشاهدون أفلام جنسية. لقد تعلم فون كوكسن الدرس من حادثة فانتسنريد واستبعد الكلاسيكيات. واستقر فى البرج الغربى وسط لوحاته الأصلية والمزيفة. بعد فترة قصيرة، جاء أوسكار ثم تبعه ادجار. كانت أوامر رافائيل ورافائيل رافائيل. يجب أن يأخذ الحذر، فمجلس الإدارة لم يعد يثق فى فانتسنريد. كان من المستحيل التغلب على الملل حتى بعد استبعاد الكلاسيكيات. وغرق الجميع فى بحر من الكسل والتثاؤب. كما أن علامات الشتاء لم تظهر بعد. فبدلاً من الجليد، كانت هناك عواصف ترابية، سخونة غير محتملة، جفاف لا حد له. لقد قاربت الغابة على التيبس. وظل الرجال فى أماكنهم يسيطر عليهم ملل قاتل. خلف المنتجع، ينشد ناظر المدرسة فرونتن نفس الأشعار بصوت مسموع: "رحلة غابة الهارتس فى الشتاء"، "بروميثيوس"، "حدود الإنسانية"، "الحنان" وبشكل مستمر "الكلمات الأولى": "تبدو أحرارًا، بعد مرور عدة سنوات، نكون أكثر اقترابًا عما كنا من قبل" بزغ القمر، بدرًا مكتملاً، ينساب هادئًا فى السماء، يشع على القرية ويضيئها. خرج جيمى الفحل من المنتجع يتمشى فى الغابة، مر على

ناظر المدرسة وهو ينشد، فى اتجاه الوادي: "أن تعجز عن الوصـــول للنهاية، يجعلك عظيمًا، وأن لا تبدأ قط، هذا حظـــك، مثـــل النجـــوم الدوارة تدور أغنيتك، البداية والنهاية دائمًا نفس الشيء، والذى يجيء به المتوسط، هو الذى يبقى فى النهاية وهو الذى كان فـــى البدايـــة" نظرت إلزى فى اتجاه المنتجع. تركت النافذة مفتوحة، لفحها الهـــواء الساخن المندفع من النافذة، رأت القمر وهو يسبح بعيـــدًا، مـــستديرًا وقويًا، فجأة غطى رأس جيمى الفحل ضوء القمـــر. ودت إلـــزى أن تصرخ. لكن القمر يدور حول الأرض، والأرض تدور حول الشمس، وعلى الأرض كان القمر، وعلى القمر أرض جديـــدة. يحـــدث ذلـــك بالضرورة. الشمس تنعكس على القمر، والقمر ينعكس على الأرض، وجيم الفحل يدخل الغرفة، وإلزى لا تصرخ.

هل كان ضروريًا أن يسأل ممثل المقاطعة أحد نـــواب مجلـــس الشيوخ القدامى، أثناء جنازة أحد نواب المجلس الشباب، عن موعـــد اجتماع اللجنة الشرفية، بالنسبة لنائب مجلس الشيوخ هـــذا لا يعنيـــه أصلاً، لأنه قد نسيه ولأنه لا يعرفه، لذلك لم يرد عليه. انكـــب بعـــد الجنازة على كومة الأوراق التى كانت فى انتظاره، فوجد فـــى أحـــد الأدراج تشكيل أعضاء مجلس إدارة الجمعية السويـــسرية للأخـــلاق، واندهش عندما اكتشف، أنه هو شخصيًا رئيس ذلك المجلس، لقد كان آخر المناصب الشرفية التى باشرها. دعا المجلس للاجتماع وهو فى غاية القلق. كان مجلسًا قليل الحيلة، فى تعامله مع نصوص اللائحـــة المكتوبة باللغة الانجليزية، والتى كان يحتفظ بها عن طريق الصدفة، والتى اكتشف فيها أن أعضاء المجلس الحاضرين ليـــسوا بأعـــضاء

اللجنة الشرفية، لكنهم أعضاء مجلس الجمعية السويسرية للأخـــلاق، كأحد فروع جمعية بوسطن للأخلاق. وهكذا أصبح أعــضاء اللجنـــة الشرفية، الذين يشكلون المجلس بالفعل، أعضاء فى أكثر من مجلس، لدرجة أنه ما من عضو واحد يتذكر اسم جمعية بوسطن للأخلاق، أو يذكر أنه قد سمع بها من قبل، وربما كان من الأفضل أن يقدم جميـــع أعضاء المجلس استقالاتهم، لكنه قبل أن يقدموا استقالاتهم، لابـــد وأن تعرف طبيعة العلاقة بـــين جمعيـــة بوســـطن للأخـــلاق والجمعيـــة السويسرية للأخلاق، ومن الذى عمل على تأسيسها. طلـــب المجلـــس من نائب مجلس الشيوخ أن يقوم باتخاذ الخطوات اللازمـــة، والـــذى طلب بدوره من مجلس المقاطعة بإرسال نسخة من اللائحة، وانفـــض الاجتماع. كان النائب العجوز من أصول اجتماعية متواضعة، فلقـــد قضى فترة طويلة من حياته كمدرس فى المدارس الثانوية فى مدينـــة برن، وكان انشغاله بالعمل السياسى حقيقة ضد رغبته، لـــذلك كـــان يمارسه بشكل روتينى، مثل حصوة فى تيار جارف، كما كان يقـــول دائمًا، حتى وصل به الأمر إلى مقعد بمجلس الشيوخ. ظل فى أعماقه دائمًا مدرس المدارس الثانوية، وليس نائب مجلس الشيوخ. وكنائـــب بمجلس الشيوخ كان يعانى من غمـــوض وعـــدم شـــفافية الـــشئون الاقتصادية ودهاليزها. كان هو بالنسبة لها، كمحولجى قطارات، يقف فى ظلام دامس، وعليه أن يحـــول آلاف مؤلفـــة مـــن القطـــارات، الاكسبريس والسريعة والمحلية والقشاش وقطارات البـــضائع، ممـــا يؤدى بالضرورة فى النهاية إلى كارثة تتدمر فيها كل القطارات. فما يحدث له فى هذا العمر المتقدم بسبب جمعية الأخلاق الـــشاذة تلـــك،

والتى لا يعرف أصلها من فصلها، فى بوسطن أو فى سويسرا، يشكل مصدر إزعاج شديد بالنسبة له. طلب من أحد معارفه المحامين، الذى كان يعمل معه من قبل، أن يساعده. وبعد أن قرأ المحامى نصوص اللائحة، كان رأيه غير مشجع، بل يدعو للشك والريبة. فلقد صيغت نصوص اللائحة صياغة ماكرة وبدهاء شديد، فهى تخول لمجلس الإدارة أن يعلن أنه لجنة شرفية قامت بتأسيس الجمعية السويسرية للأخلاق وأنهم هم أنفسهم أعضاء مجلس إدارة الجمعية فى نفس الوقت. مثل هذه اللائحة، يجب ألا يمررها أحد. لقد مرت عليه، قال النائب بغضب. زيادة على ذلك، فقد قام المجلس بعدها بأسبوع بشراء منتجع، أضاف المحامى، وذلك بطرق قانونية بواسطة محام، الزميل هابيجر من عاصمة المقاطعة. فيم تحتاج جمعية للأخلاق منتجعًا؟ ولماذا؟ تساءل النائب متعجبًا. رد عليه المحامى، بأن جمعية "الفرح والسعادة من خلال الفقر" تحتاجه للعطلة فى شهور الصيف. ضحك النائب قائلاً، إنه اسم ذكى لمنتجع للطبقة المتوسطة. للمليونيرات والملياردديرات، رد المحامى مصححًا، وفى الشتاء يؤجره كونت يدعى فون كوكسن من ليشتنشتاين، الذى جمع ملايينه من بيع اللوحات المزيفة. مؤكد هو فى السجن الآن، علق النائب. فرد المحامى، بأنه يقول للزبائن أن اللوحات مزيفة، لكن الزبائن تؤكد أنها أصلية. مؤكد سيفلس هذا "الفرح والسعادة من خلال الفقر" قال النائب، فمن هو المليونير الذى يذهب إلى المنتجع كى يعيش عيشة الفقراء، ويستمتع بذلك. أثرى أثرياء البلد، قال المحامى، والمنتجع يزدهر بجنون، وتتزايد أرباحه كما لم يحدث من قبل، فمن الواضح

أن اندماج الجمعيتين قد عمل على مضاعفة الأرباح. هو لا يعلم شيئًا عن هذا الموضوع، قال النائب. بعد هذا الحوار لم يتمكن نائب مجلس الشيوخ من النوم طوال الليل. كان يبلغ الخامسة والتسعين من عمره، وصار أرملا منذ عشرين سنة. لم يود أن يذهب لبيت المسنين. كانت تهتم به امرأة إيطالية فى السبعين من عمرها، وتؤنبه بشكل مستمر وبلا توقف تبعًا للموقف، بأنه يأكل كثيرًا أو يأكل قليلاً، أو يأكل بدون انتظام، ولو أنه استمر يعيش بهذه الطريقة، فلن يعمر طويلاً...إلخ خلع جهاز السمع ووضعه جانبًا بينما كانت ما زالت تؤنبه، ظل ينظر إليها إلى أن انتهت من تأنيبه. للمرة الأولى يصيح فى وجهها هذا الصباح قائلاً أن عليها أن تخرس، وابتدأت تحضر له طعام الافطار والدموع فى عينيها. تركها واندفع إلى المكتب يكتب لرئيس المقاطعة. كان الرد لطيفًا، على المقاطعة أن تسعد بذلك وتقدره، ليس فقط من الناحية الأخلاقية، بل أيضًا من الناحية المالية، وسوف تقدم المقاطعة للجمعية السويسرية للأخلاق مكانًا تستقر فيه، ففى حساب الاتحاد يوجد مليون ونصف مليون، كل شيء على ما يرام، حتى تلك العاصفة مع العمدة فى وادى الفوضى قد سويت وهدأت. لم يكن لطيفًا من رئيس المقاطعة أن يكتب ذلك. خامر الشك نائب مجلس الشيوخ بخصوص تلك الجمعية السويسرية للأخلاق. لن يسمح لها بأن تسخر منه مرة أخرى. هناك خطأ ما فى الموضوع برمته. ولماذا كانت تلك الضجة إذن مع العمدة؟ طلب النائب من العمدة أن يحضر إليه، وسوف يتكفل بكافة تكاليف الرحلة.

نائب مجلس الشيوخ، رجل رقيق صغير الحجم، له بشرة وردية كبشرة الفتيات، كان يجلس فى مقعده منسندًا للوراء، بينما يأخذ حمام قدمه الساخن فى المساء، ماء بالخل، فى أحد الزوايا بين رفوف الكتب يجلس قط أسود ضخم، وأمام النائب يجلس العمدة. هل من الممكن أن يدخن، سأل العمدة، هل له فى سيجار هافانا، سأله النائب، إنه يدخن الغليون، قال العمدة، ثم أخرج غليونه وأشعله. عندئذ طلب منه النائب، أن يقص عليه قصته. وابتدأ العمدة يحكى، وعندما انتهى من حكايته قال له النائب، أنه يصدقه فى كل ما قال. هكذا تكون أنت أول فرد يصدق حكايتى يا سيادة النائب، قال العمدة.

"شىء نادر" قال النائب "أنت تحب كلبك أكثر من ابنتك إلزى"

"سيدى النائب، مع كلبى مانى، يمكننى أن أتحدث، أما مع إلزى أو مع ميدى زوجتى التى توفاها الله، لا يمكننى أن أتحدث" قال العمدة موضحًا "النساء لا يستمعون لأحد، أما مانى فقد كان دائمًا يستمع إلى".

كان النائب يريد أن يعرف عم كان يتحدث مع مانى، بينما كانت الإيطالية تصب ماء إضافيًا فى الإناء.

"هذا ما قد كان" قال العمدة واستطرد "لقد أخطأنا جميعًا، لكن لماذا يكون الرب الرحيم ظالمًا لهذه الدرجة، لو أنه رحيم بالفعل، لماذا يفضل القرى الأخرى على قريتنا، لماذا يذهب الغرباء دائمًا إلى قرى أخرى، ويتركنا نحن نكافح مع المليونيرات نزلاء المنتجع الذى يقع على الناحية الأخرى من الوادى، لماذا لا يأتى أحد إلينا، ما عدا

بعض الشبان المتجولين وهم يحملون حقائبهم على ظهورهم، وينامون فى خيامهم، ويجلبون معهم أكلهم وشربهم، وعندما يقتربون من القرية، يؤكدون أنهم لم يروا فى حياتهم أقذر وأتعس من هذه القرية، كنا نسأل أنفسنا أنا ومانى، لماذا لا يأتى انهيار جليدى أو تشقق أرضى ليعصف بتلك القرية ويمحوها من على وجه الأرض، كما يحدث لقرى أخرى، عندئذ، ستقدم المساعدات من جميع أنحاء سويسرا، وسيعلنون فى الراديو عن المساعدات المالية، ويأتينا رجال التليفزيون، وتشتهر القرية، ويعاد بناءها من جديد، وتنهال النقود علينا، مؤكد هناك خلل ما عند الرب الرحيم، فى أن تكون الأشياء غير عادلة لهذه الدرجة مع البشر ومع الطبيعة. كان الكلب يتفق معى فى الرأى ونحن نتحدث، بالطبع كان يتكلم بعينيه، وعندما كنت أتنقل من مكان إلى مكان، من عضو بالمقاطعة إلى ممثل المقاطعة، ومنه إلى عضو المجلس الوطنى، وأعود متأخرًا فى الليل، أجد مانى وقد خرج من كوخه، جالسًا أمام باب البيت فى انتظارى. أسأله، ماذا تريد؟ ينظر إلى طويلاً ويعطينى كفه الأيمن، فأهز يده، وأقول له، أنت تريد أن تصافحنى، فيقول لى، على أن أترك هذا الجرى والتعب من مكان إلى آخر ومن مسئول إلى آخر، فهذا لن يفيد، ولن يؤتى بنتيجة، وسوف يتدبر الأمر هو بنفسه، هو مانى.

"يقول لك؟" سأله النائب متعجبًا.

"يقول لى بعيونه" رد العمدة "كنت أعرف ببساطة، ماذا يقصد الكلب. هل يمكن لسيادتكم أن تقيم حوارًا بهذا الشكل مع أية امرأة؟ لكننى لم أخبر ممثل الحكومة بالطبع، أننى أتحدث مع الكلب، هذا

وإلا كان سيعتبرنى مجنونًا. هل تتحدث سيادتكم أيضًا مع القطة؟"

"إنها ليست قطة، انه قط" أجاب الرجل وواصل "وهو لا يتحدث معى، بل يصمت معى، مما يعطى نفس النتيجة، نحن نتحمل سويًا كل السخافات التى تقابلنى كنائب بمجلس الشيوخ، وعلى أن أتحملها وأن أغمض عينى عنها بحكم الزمالة. زملاء سبعة فى المجلس، يجب أن يكونوا كلمة واحدة فى مواجهة أى شىء يأتى من الخارج! وعندما تعين امرأة فى المجلس، لا يجرؤ أى عضو على معارضتها، ولو أن امرأة أخرى عينت بالمجلس، فلن يتفق الاثنتان قط فى أى شىء، ساعتها ينهار إطار الزمالة. فمن الأفضل أن يكون مجلس الاتحاد كله من النساء، سبع نساء. إنهن ليس أكثر غباءً من الرجال. لذا تجدنى سعيدًا بأن يفهمنى القط، إننى أيضًا بشر، وكنائب بمجلس الشيوخ، أرتكب أحيانًا أشياء حمقاء. لكن قل لى، أين كلبك الآن؟"

"قتلوه. أطلقوا عليه النار من مدفع الدبابة"

"وأنت ما زلت تجرى من محام إلى آخر؟ لماذا إذن؟" سأله النائب، هز الرجل رأسه. يجب أن يعرف الحكاية بشكل أكثر دقة. لماذا تأتى دبابة عسكرية إلى قريتكم؟ فيلق بأكمله يحتل القرية، من أجل قتل مانى، وابتدأ العمدة يقص الحكاية.

هز النائب رأسه قائلاً " أصدق أن الجيش يمكن أن يفعل أى شىء أحمق، لكننى لا أصدق أن مانى يفعل ذلك. يتسلق إلى أعلى الصخرة ويجلس عليها حتى يمكنهم رؤيته وإصابته بسهولة "

لقد كان الكلب فضوليًا، علق العمدة.

"يا رجل" قال الرجل وهو يضحك.

"لم يكن مانى، هو الذى قتله الجيش، أنت تفهم ذلك بالطبع يا سيدى النائب، كان تمثالاً من الخشب،كنت قد قمت بنحته منذ فترة، وقبل أن يتحرك الجيش إلى القرية، ذهبت مع ناظر المدرسة فى اليوم السابق ووضعنا الكلب الخشبى فوق الصخرة، خدعة للتمويه لا أكثر"

"أفهم ذلك، وأين الكلب الآن؟" سأله النائب

"فى كهف بالغابة" رد العمدة "أذهب إليه بالطعام مرتين فى الأسبوع، وتذهب إلزى أيضًا لتطعمه، وأحيانًا يبحث مانى بنفسه عن شىء يأكله"

"كلب ذكى" أكد النائب "أذكى من سيده. الذى لا يسيطر على ابنته"

راقب العمدة الإيطالية وهى ترفع إناء حمام القدم، والرجل وهو يجفف قدميه بالفوطة.

"لم تكن إلزى منزعجة لذلك" قال العمدة "إلزى فتاة جميلة ومثيرة مثل أمها، كان على أن أراقبها دائمًا، ذات يوم رأيت رجلاً فى غرفتها، من هو، لا فرق، أعتقد أنه نولدى النجار، لكننى غير موافق على أن يتزوجها. فأى طفل يأتى، لابد وأن يحمل اسم بريتاندر، إننى آخر بريتاندر فى العائلة، وإن لم يكن ولدًا، فسوف يندم الرب على ذلك، سأكفر به، وأصير ملحدًا"

ضحك النائب قائلاً، أنه لم يأت الوقت بعد لذلك مع إلزى، لكنه بطريقته تلك، ضيع كل الفرص لرفع دعوى، وكان كل مجهوده

وتعبه، والتنقل من هذا إلى ذاك بدون معنى، كان الكلب على حق، لكن ما أثار تعجبه هو، كيف يستهلك المنتجع المغلق كل هذه الكمية من اللبن، أليس من الممكن أن يكون كلب آخر غير مانى هو الذى عض الحارس المشكوك فيه أصلاً.

"بكل تأكيد" قال العمدة "هذا ما فكرت فيه، خاصة وأن الكونت يمتلك كلبًا شهيرًا فى الناحية من نوع الدوبرمان"

"اللعنة!" قال النائب "هل أخبرت ممثل الحكومة بذلك؟"

"لم يدر بخاطرى ذلك سوى الآن" رد العمدة

هز النائب رأسه وسأله عما إذا كان المنتجع خاليًا أيضًا هذا الشتاء، وهو يرتدى جوربه

"نزلاء قليلون كالشتاء الماضى" قال العمدة " هناك أناس بالداخل، وخلف النوافذ يرى ضوء مشتعل، أحيانًا تسمع أصواتهم وهم يتحدثون "

"هكذا يا حضرة العمدة، الآن نحتسى سويًا بعض النبيذ الأحمر" قال النائب

"وتحكى لى بدقة، تفاصيل ما حدث مرة ثانية. لكن لا تنسى شيئًا كما نسيت من قبل"

خبط النائب على ركبته اليمنى، فقفز القط الأسود إلى حجره. عادت الايطالية ومعها زجاجة النبيذ الأحمر. وابتدأ العمدة يحكى الحكاية كلها مرة ثانية، والنائب مصغيًا إليه، حتى أجهزا على

الزجاجة. هنا قال النائب أنه يمكن للعمدة أن ينصرف، لقد حجز لـه غرفة فى فندق مجاور، وأنه يؤسفه أنه لا يمكنه مساعدته، فهو مجرد فرد واحد، قريبًا سيصير مائة.

"لا يهم " قال العمدة " إلى اللقاء إذن. لقد أراحني كثيرًا، أن أتحدث مع أحد عن كلبى".

انسحب نائب مجلس الشيوخ إلى غرفة مكتبه، ليكتب مذكرة لنائب الحكومة الأعلى بالمقاطعة، يخبره فيها بأن ممثل الحكومة كان متحيزًا فى معالجته لحالة بريتاندر، وأنه لم يقم بدراستها كما ينبغى، لدرجة تدعو للريبة والشك. فلم يحدد بشكل واضح، أى كلب قد قام بعض الحارس. فالمدعى المتظلم، والمطالب بتعويض الضرر، والذى تراجع عن دعواه، يمتلك هو الآخر كلبًا شرسًا، كما أنه من غير المنطقى أن يستهلك الحارس المعضوض وحده، كل هذه الكمية من اللبن، التى كانت تأتى يوميًا إلى المنتجع. وأنه تحت كل هذه الملابسات، لم يكلف خاطره بزيارة المنتجع وتقصى الحقائق على أرض الواقع، الشيء الذى أجده تراخيًا زائدًا. والآن وقد عاد الشتاء، أرى أن يذهب ممثل الحكومة إلى المنتجع، ويعاين بنفسه الوضع على الطبيعة، ليتأكد إن كان المنتجع خاويًا أم لا، وأن يأخذ معه بعض الأعضاء الآخرين كشهود، فمن الواضح أن ممثل الحكومة متحيز وبشدة، لدرجة تجعله يدفع بفيلق كامل من وحدات الجيش إلى قرية وادى الفوضى، من أجل قتل كلب، مما يعتبر بكل المقاييس فضيحة عسكرية فى تاريخ جيشنا الوطنى، ويستوجب تقديم ممثل الحكومة لمحاكمة عسكرية. وأنه بهذه المناسبة، قد قرر كرئيس للجمعية

السويسرية للأخلاق باسم مجلس الإدارة، حل هذه الجمعية، وإرسال جميع ملفاتها للمدعى العام التابع للمقاطعة. وبعد أن انتهى من كتابة المذكرة، رجع إلى مقعده واسترخى، فقفز القط على حجره، واستغرق فى النوم.

ذهب جميع أعضاء مجلس الحكومة التابع للمقاطعة، كذلك المحقق القانونى إلى قرية وادى الفوضى، التى لم يزرها أغلبهم من قبل. علم الكونت فون كوكسن بالزيارة سرًا من أحد الموظفين بالمجلس، فانسحب إلى ليشتنشتاين وقبع هناك، بينما كان الوفد الرسمى يعتقد أنه لا يعلم بهذه الزيارة. وأرادوا أن يفاجئوا المنتجع. دفع فانتسنريد بجميع الرجال إلى الغرفة العلوية بمبنى الملحق الضيق، حيث ظلوا ملتصقين بعضهم ببعض. لكنه كان من الصعب أن تعود غرفة العمليات إلى شكلها الأصلى كمطبخ، حيث كان جو ماريجوانا ما زال راقدًا تحت تأثير التخدير الكلى، الذى تطلبته عملية تغيير ملامح وجهه، مما سبب بعض القلق لفانتسنريد، أثناء مرور وفد الحكومة وتجولهم فى المنتجع. قام فانتسنريد، الذى كان لم يزل يعرج خفيفًا، بفتح جميع القاعات، الصالون وغرفة الطعام، الغرف الفردية والغرف المزدوجة، والسويتات الفاخرة، كل القاعات خاوية، ما عدا الغرفة العلوية الذى ضاع مفتاحها منه. ظل يبحث ويبحث عن المفتاح، لكن ممثل الحكومة رأى أن لا ضرورة لذلك، فلا داعى لأن يصعد الجميع للغرفة العلوية بالمبنى الملحق لمعاينتها، شىء سخيف، لا داعى، عندئذ قال فانتسنريد أنه وجد المفتاح، لكن أعضاء الوفد كانوا بالفعل ينزلون السلالم. ما كاد فانتسنريد يأخذ نفسه من الموقف

الصعب، حتى طلب منه المحقق دون توقع، أن يعاين غرفة الغسيل فى البدروم. كان من المؤكد أن جو ماريجوانا سوف يفتضح أمره، لو أن فانتسنريد لم يضع ساقه باحتراف أمام ساق المحقق، فسقط متدحرجًا على السلالم حتى أسفل البدروم، مما أدى إلى كسر ساق المحقق، وهكذا استبعدت تمامًا غرفة الغسيل من التفتيش، وانشغل الجميع بطلب الإسعاف والطبيب، ولم يعد هناك وقت لسؤال أحد من أهل القرية.

يوم الأحد ليلة عيد البشارة، أنهى موسى ميلكر الصفحة الخمسمائة من مخطوطة كتابه "ثمن النعمة". خرج إلى الشرفة. كان الليل قد تقدم كثيرًا، واختفى القمر خلف أشجار الغابة. كان الجليد لم يتساقط بعد، لكن الضباب الكثيف كان يغطى منطقة جرين بأكملها، ولم يعد ممكنًا أن ترى من القرية سوى برج الكنيسة، الذى ينبثق خلال الضباب أبيضًا فى ضوء القمر، فى هذه اللحظة تذكر نهر النيل. دخل غرفة النوم. وجد سيسلى ترقد فى فراش الزوجية، تقرأ رواية، تدخن السيجار وتأكل الشوكولاتة، كرات من الشوكولاتة، كرات سوداء وكرات بنية وكرات بيضاء، ملساء وخشنة. على الكوميدينو كيسان آخران من الشوكولاتة. جلس موسى على حافة السرير بجوارها، وحشر فى فمها كرة من الشوكولاتة، وعندما حشر الكرة الثانية، وضعت السيجار فى المطفأة، والرواية على السرير، وفتحت فمها بتلذذ، حشر كرة أخرى فى فمها. نظرت إليه نظرة كلها احتقار، جامدة قاسية وساخرة، كان يعرف أنها تعرف ماذا ينوى أن يفعل. لم تقاوم البتة. لم تكن هناك ضرورة للمقاومة. ظل يحشر

كرات الشوكولاتة فى فمها، الواحدة تلو الأخرى، يحشر ويحشر ويحشر، وعندما انتهى من الكيس الثالث، لاحظ أنها قد ماتت. ذهب موسى ميلكر إلى غرفة مكتبه، كتب إهداء المخطوطة: إلى سيسيلى، ودوّن التاريخ.

كان الأب الكبير ويرميا بيليال يفضلان أن يتحدثا سويًا عن مشاكلهما على هضبة الملك هاكون فى أقصى القطب الجنوبى. وكانت هذه اللقاءات تتكرر على فترات متباعدة جدًا، مما جعلها فى نهاية الأمر نادرة الحدوث. وكانت تتم دائمًا فى نفس المكّان وبنفس المنطقة. كان الطقس فى اللقاء الأخير استوائيًا حارًا، وكان اللقاء مثمرًا جدًا، فلقد كان محور الأرض فى وضع غير عادى. هبطت المروحيتان على المسطحات الجليدية، كانت الرياح تصفر وتزوم، ربما كانت مروحية واحدة التى هبطت، فهنا تنعكس صور الأشياء جميعها على الجليد فى ذلك الهواء الزجاجى، عندئذ قام يرما بيليال بالترحيب بالأب الكبير، لو أنه كان فعلاً الأب الكبير، فلقد تغير شكل كل منهما كثيرًا عن ذى قبل، لدرجة أن جبريل اعتقد أنه فعلا الأب الكبير، فهو صورة مطابقة للأب الكبير، ليس لأن كلاهما يرتدى السموكنج، فالجميع يرتدى السموكنج. هناك شىء ما غير متسق فى تلك الصورة المطابقة، إلى أن اكتشفه جبريل: يرميا بيليال ليس الصورة المطابقة للأب الكبير، لكنه صورته المنعكسة. كلهم صور منعكسة، الجميع. الصورة المنعكسة للأب الكبير هى يرميا بيليال، والصورة المنعكسة ليرميا بيليال هى الأب الكبير. الصورة المنعكسة لجبريل هى صموئيل سكرتير بيليال، هو الآخر عدو الشمس (ألبينو)،

وبالعكس، الصورة المنعكسة لأوريلز آسيتوت، الذى يصنع الساعات التى تدور للخلف لمجموعة بعينها، هى الصورة المنعكسة للجراح ميكائيل آزموديوس، وبالعكس، والمحامى رافائيل، الذى ضغط نفسه فى شخص واحد، كانت تجلس أمامه صورته المنعكسة فى شخص بيلسبوب، الذى كان رافائيل يجلس فى مواجهته: باختصار، كل فرد يجلس فى مواجهة فرد آخر، والعالم لم يكن منقسمًا بمرآة لقطعتين، كما أن بيليال وصموئيل وآسيتوت وآزموديوس وبيلسبوب، ليسوا سوى صورًا منعكسة أو انعكاسات. كان وقت التحول الشتوى للشمس، ٢١ ديسمبر، وسوف يستمر حتى ٢٠ مارس. حلقت طائرة البريد بصوتها المزعج على رؤوس المجتمعين الجالسين على مقاعدهم المريحة فى الحديقة، وألقت بمئات من الخطابات، كلها بلا شك خطابات رجاءات واستجداءات وتوسلات للأب الكبير. كنست الريح أكوام الخطابات بعيدًا. من ناحية الساحل، الذى يبعد حوالى ألف وخمسمائة كيلو مترًا، ظهر جيش من طيور البطريق فى طابور طويل، تتبختر بتؤدة ووقار كحجاج ورعين، وأحاطوا بالمجتمعين. بجوار الأب الكبير، توجد طاولة صغيرة، عليها مطحنة بن، وماكينة لصنع القهوة، وخمسة فناجين، كما يوجد مثلهم بجوار يرميا بليال. أمسك الأب الكبير بمطحنة البن، أمسك يرميا بيليال بمطحنة البن، بينما كان باقى المجتمعين فى حالة نعاس، حتى طيور البطريق، بدأ الأب الكبير يدير المطحنة، بدأ يرميا يدير المطحنة، كان الأب الكبير يدير المطحنة مع اتجاه عقارب الساعة، بينما كان يرميا يدير المطحنة ضد اتجاه عقارب الساعة، وبينما كان الاثنان يديران،

ابتدأت الشمس تدور حول المجتمعين، وحول طيور البطريق، وكلما ازدادت سرعة التدوير، كلما ازدادت سرعة دوران الشمس، وكونت حولهم فى النهاية دائرة واحدة من الضوء الخاطف للأبصار، تقترب تدريجيًا من الأفق، وتقسمه فى النهاية إلى قطعتين، وتختفى، وعندما اختفت، دارت حولهم قلنسوة ذهبية مشعة، من النجوم المندفعة والقمر، تصعد وتهبط بلا توقف، وعندما يدير الأب الكبير المطحنة، ليست الأرض وحدها هى التى تدور حول نفسها، بل تدور الأرض فى نفس الوقت حول الشمس، وهكذا يدور النظام الكونى كله حول الشمس، والشمس حول سكة التبانة، وسكة التبانة وضباب أندروميدا حول مجموعة الكواكب، التى تنتمى إليها، والتى هى نفسها تدور، العالم كله يتحرك نتيجة دوران مطحنة البن، وكلما ابتعدت الكواكب، تدور بسرعة أكبر، بسرعة مذهلة، تفوق بدرجات مضاعفة سرعة الضوء، تختفى معها كل قوانين الفيزياء. ليس هذا العالم وحده الذى يدور حول نفسه، كسهم دوار منطلق فى المكان والزمان بلا توقف، لأن الأب الكبير يدير مطحنة البن، فيرميا بليال يدير مطحنته هو الآخر، وكما يدور الكون حول نفسه بسرعة مذهلة، يدور أيضًا الكون/الضد بسرعة مذهلة بطريقة عكسية، الشىء الذى لا يلحظه الأب الكبير، أن كونه وكون يرميا ينقسمان دون أن يتلامسا، كما لو أن كلا منهما يرقد على ناحية من المصيدة/الشبكة التى تدور فيها وعليها كرات الكواكب والكواكب الضد بسرعة مذهلة دون أن تتلامس، تدور حول المصيدة أو فى المصيدة بسرعة تفوق سرعة الضوء، الشىء الذى لا يهم الأب الكبير ولا يهم يرميا بلیال، فهما لا

يهتمان أصلاً بالفيزياء ولا يعلم الكون، ولم يسمعا قط عن تمدد الكوكب، أو الثقوب السوداء، أو الانفجارات الكبرى فهما لم يكترثا قط بمثل هذه الخزعبلات، بينما كانت إلزي تنظر من نافذتها فى منتصف الليل يأكلها الشوق الغامض والحنين المبهم، دون أن تتوقف عند فكرة معينة، انقشع الليل فجأة ثم عم الظلام ثانية، كانت تفكر فقط فى جيمى الفحل، وفى أقصى الجنوب على هضبة الملك هاكون، كان دوران الشمس، سكة التبانة، المجرات، المكان، الزمان، نظام الكواكب يهدأ تدريجيًا، إلى أن توقف، وتوقف معه العالم الضد، فى البداية، ظهرت النجوم التى تتناقص سرعة دورانها حول الأفق الجنوبى فى أوريون وسيريوس وكانوبوس، والصليب، وسحابتا ماجلان، ثم صعدت الشمس عاليًا، ودارت حول الأفق، مر نصف عام فى يوم، صعدت الشمس عاليًا مرة ثانية، ثم توقفت، وعادت قوانين الطبيعة كما كانت، دون أن تشغل بال الأب الكبير أو يرميا بيليال. لقد توقفا عن التدوير، واستيقظ الآخرون من نعاسهم. كذلك طيور البطريق. أعد جبريل وصموئيل القهوة وقدماها للمجتمعين. شرب الجميع الفناجين حتى آخرها. لا أحد يتكلم. صمت مطبق. جاءت المروحيات. تركوا الفناجين وماكينات صنع القهوة ومطاحن البن ومقاعد الحديقة كما هى، ولم يأخذوا معهم سوى ما تبقى من أكياس البن Kaffe-Oeteker Fr. 10. 15. للقاء القادم. تهادت طيور البطريق فى طريقها نحو الساحل، ركب المشاركون مروحياتهم، أو مزحيتهم، وانطلقوا، ذهبت إلزى إلى الفراش، لم يأت جيمى الفحل. جيمى الفحل يأتى مرة واحدة فقط.

في الصباح، راح جيمى الفحل يبحث عن جو ماريجوانا في جميع أنحاء المنتجع. فهو لم يره بعد أن أجريت له العملية فى وجهه. حقيقة، لم يره أحد سوى الطبيب الذى كان يقابله صدفة بين الحين والآخر، والذى أكد لجيمى الفحل، أنه قد رأى جو ماريجوانا منذ فترة قصيرة فى ممرات المنتجع، من الواضح أن جو ماريجوانا يبحث عن جيمى الفحل، مثلما جيمى الفحل يبحث عن جو ماريجوانا، وهكذا قام جيمى الفحل بالتجول فى جميع أرجاء المنتجع بحثا عنه، فى المبنى الملحق، وفى المخازن وحتى فى غرفة الغسيل، حيث كان يرقد طائر ألاسكا تحت تأثير التخدير الكلى. مرة ثانية قابله الطبيب فى القاعة، فناداه بصوت عال: "جو، جيمى الفحل يبحث عنك يا جو ماريجوانا"

فسأله جيمى الفحل مندهشًا "من يبحث عن من؟" وعندما رد الطبيب قائلاً أنه منذ نصف ساعة، قابل جيمى الفحل فى الطابق العلوى، وسأله عن جو ماريجوانا، صرخ فى وجهه قائلاً أنه هو جيمى الفحل بلحمه ودمه!

"اللعنة. غير معقول. لقد خلطت بينك وبين..." قال الطبيب وهو يتأمل جيمى الفحل.

"وبين من؟"

"وبين جو ماريجوانا".

"إن وجهه يختلف كليةً عن وجهى" قال جيمى الفحل.

"لم يعد الآن كذلك" قال الطبيب بفخر وزهو "انجاز مدهش. لقد حققت عملاً فنيًا رائعًا. لقد أجريت العملية بنفسى لجو ماريجوانا.

والآن، صار وجه جو ماريجوانا هو نفس وجه جيمى الفحل"

"الآن يبدو وجهى مثل وجهه" قال جيمى الفحل متلعثمًا "لماذا فعلت ذلك؟"

إنهما أفضل اثنين من القتلة فى المجلس بأجمعه، كان الرد، فعندما يقتل أحدكما شخصًا فى سان دييجو، ويكون الآخر فى بوسطن، عندئذ يمكن للقاتل فى سان دييجو أن يثبت عدم تواجده فى مكان الحادث. هكذا، رد جيمى الفحل بتردد، لكننى أتعجب أين يختفى جو ماريجوانا، لم يرد الطبيب، بل حملق فى اتجاه مدخل القاعة. الجميع يحملقون فى نفس الاتجاه: من خلال الباب المفتوح الواسع، دخل موسى ميلكر وظل واقفًا هناك، أنيقًا كعادته، فى حلته السوداء الضيقة، أبيض وسمين، بشعره الزنجى المجعد، يحمل فى يده حقيبة صغيرة.

كان موسى ميلكر فى حالة ارتباك. كان يعتقد أن المنتجع خاويًا لا أحد فيه، فاستخدم مفتاحه الخاص فى فتح الباب الرئيسى. خلف وراءه أيامًا صعبة، كتب فيها طبيب قرية بوبندورف شهادة الوفاة وهو يهز رأسه متعجبًا، فلم يمر عليه طوال حياته إنسان يموت من كثرة تناول الشوكولاتة، فسأل إن كانت المتوفية قد تناولت شيئًا آخر غير كرات الشوكولاتة. أكد موسى بأسى وأسف أن لا شىء سوى الشوكولاتة. دفنت سيسيلى بجوار ايميلى فى مقبرة بجرينفيلد، أما جثة أوتيلى فقد احتفظ بها النيل ولم يفرط فيها. كانت سيسيلى آخر فرد من آل رويشلن. أما الفيلا التى كان موسى المسكين قد تنازل لها عنها مع جميع أملاكه، حتى يظل مسكينا، فقد عادت لصاحبها مثلما

عاد خاتم بوليكراتيس. أصبح الآن من فئة الملتيمليونيرات فى "بيت الثراء"، فقرر أن يقضى فترة أعياد الميلاد فى المنتجع حتى يستمتع لآخر مرة، ببركة الفقر الذى اختفى عن حياته إلى الأبد. لم ير ذلك مناسبًا، أن يطلب من أوجوست توصيله إلى هناك بالرولز رويس، فقد كان يود أن يذهب إلى هناك وهو فقير. فأخذ القطار القشاش إلى برن، ثم القطار السريع بالدرجة الثانية إلى زيوريخ، ثم إلى عاصمة المقاطعة بالدرجة الأولى، ضد قرار التقشف الذى أخذه على نفسه، ثم أخذ بعدها تاكسى. كان يرغب فى أن يكون وحده تلك الليلة، وأن يعتكف مع سره الدفين حتى ينساه، ويحتفل بعيد ميلاد المسيح فى خلوة وهدوء مع الأب الكبير. وقف موسى فى بهو المنتجع غير مصدق لما يراه، كان البهو ممتلئًا بمجموعة من الرجال الأفظاظ، مستلقين بلا مبالاة على المقاعد والأرائك - التى كانوا قد أرجعوها لمكانها من غرفة الملحق - رجال تبدو على ملامحهم القسوة والشراسة، وتفوح منهم رائحة القتل والدم والجثث البشرية. لم يكن موسى وحده مفاجئًا، بل كانت مفاجأة للجميع. لم يتحرك أحد. الحل الأمثل، أن نطلق عليه الرصاص وننتهى، هكذا فكر أغلبية الرجال، لكن الأسلحة جميعها كانت ما زالت فى غرفة الملحق. أخيرًا، نهض بيبى هاكمان متثاقلاً، اتجه بتؤدة إلى موسى، وقف فى مواجهته، وضع يديه على كتفيه بالقرب من رقبته، حتى يمكنه الضغط عليها وقت اللزوم، وسأله لو أن أحدًا يعرف أنه هنا، بصرف النظر عن من يكون. إنه يقوم بتعليم الفقر، وببركة الأب الكبير، قام بتأجير هذا المنتجع فى فصل الصيف من أجل هذه المهمة، أجاب موسى بصعوبة، قاصدًا بالأب الكبير، الرب بالطبع، بينما ظن بيبى هاكمان

أنه يقصد بالأب الكبير، رئيس الرؤساء الأسطورى، الأب الروحى للجميع. اتضح الموقف بالنسبة لموسى، وهو أن (بيت الفقر) تستخدمه جمعية الأخلاق فى أغراض أخرى، غير مواساة الأثرياء التعساء. لقد انحرف المكان عن أهدافه السامية، كان يمكن لليدين اللتين حول رقبته أن تضغطا عليها، فجأة ساوره شعور بالثقة فى الجميع، الذين تجمعوا حوله وأحاطوا به. لقد كان بإمكانهم فعل أى شىء. من الأفضل أن أضغط وننتهى، فكر بيبى هاكمان، وأراد فعلاً أن يضغط، فى اللحظة التى ظهر فيها فون كوكسن خارجًا من المصعد، يتبعه ادجار وأوسكار. لقد لاحظ فانتسنريد حضور موسى ميلكر، لكنه لم يجرؤ على فعل شىء، سوى أن يخبر فون كوكسن فى البرج الغربى. أهلا بك يا سيد ميلكر، قال الكونت مرحبًا ومعرفًا نفسه، كوكسن، الكونت فون كوكسن، ترك مونوكله يسقط، التقطه بيده اليسرى، نفخ فيه ثم مسحه بمنديل منظفًا إياه، وهو يفكر فى أفضل الطرق للخروج من ذلك الموقف الحرج. التخلص من ميلكر فيه مخاطرة كبيرة، فمن يدرى أين كان، ومن أين جاء، وربما كان ذلك بالتحديد ما يرغبه رافائيل ورافائيل ورافائيل، أن يختفى موسى ميلكر نهائيًا، وربما تكون رغبته هو أيضًا، فون كوكسن – اللعنة – موقف صعب قاتل. ليس هناك وقت للتحدث بالتليفون، كان بإمكان فانتسينريد أن يعطله فى مكان ما، لكنه هنا الآن. لقد قام بتأجير المنتجع فى فصل الشتاء، قال الكونت، وهو يضع المونوكل على عينه، مما دعا الجميع للتعجب، ما عدا موسى ميلكر الذى اكتشف السر، لقد قام فون كوكسن بتأجير المنتجع حتى يحتفل فيه مع أصدقائه بعيد الميلاد المجيد. سوف يكون شرفًا كبيرًا للجميع، لو أن موسى ميلكر ألقى

عليهم موعظة عيد ميلاد السيد المسيح. إن أصدقاءه جميعهم فنانون أو متذوقون للفنون. اللعنة، فكر بيبى هاكمان، لكنه اقتنع بأن هذا هو المخرج الوحيد. مشي موسى ميلكر مترنحًا، حتى وصل إلى المقعد وألقى بنفسه فيه منهكا، وهو يتنفس الصعداء.

ليلة عيد الميلاد، حضر جيمى قبل الغروب بنصف ساعة، ذهبت إلزى إلى النبع أسفل الوادى. سمعت صوت فرونتين يأتى من الغابة وهو ينشد: " كاليوم الذى جئت فيه إلى العالم، وقفت الشمس تحيى الكواكب، قريبًا ستجنى ثمار ما فعلت. هذا هو القانون الأزلى" وعندما حاولت أن تشرب من مياه النبع التى تتصاعد منها الأبخرة وسط الصخور، وهى تمسك بعود غاب، أحست بشخص يقف خلفها، استدارت فوجدت أمامها جو ماريجوانا

"جيمى" قالت إلزى فرحة

ظل جو ماريجوانا فى مكانه لم يتحرك

"أخيرًا تعود" قالت إلزى

لم يرد جو ماريجوانا، تأملها بنظرة باردة. تأملته. لا يمكن أن يكون سوى جيمى، حتى لو أن شعورًا مبهمًا يراودها بأنه ليس بجيمى. طلبت منه أن يحتضنها، فاحتضنها. طلبت منه أن يقبلها، فقبلها. أبعدته إلزى، ثم صفعته على وجهه قائلة، انه ليس جيمى. ضحك جو ماريجوانا قائلاً أنه جيمى. ترددت فى قبول ذلك، وسألته هل هو جيمى بحق؟ بحق وصدق قال جو ماريجوانا. هى لا تصدقه، فقد كان يقبلها وسط اللبن المدلوق وفى فراشها بطريقة مختلفة. لو أنه

معها وسط اللبن أو فى فراشها، فسوف يقبلها كما كان يقبلها من قبل، قال جو ماريجوانا. جلست إلزى على حافة السور تتأمله وهى تفكر. انه جيمى بالفعل، لكنه عندما كان معها فى الفراش، كان قليل الكلام، لم يقل سوى اسمه، وماذا عساه أن يقول فى تلك اللحظة، أما الآن فهى تريد أن تعرف، من عساه يكون. مجرم كبير، قال ضاحكًا، بنفس النظرة الباردة، لكنها كانت متأكدة أنه جيمى. زميلك الآخر، عضه مانى فى مؤخرته، هل تذكر؟ نعم أذكر، إنه جو ماريجوانا، رد عليها جو ماريجوانا. مجرم كبير هو الآخر؟ سألته. مجرم كبير هو الآخر، سفاح. عظيم، قالت إلزى، ثم سألته أكلهم مجرمون سفاحون فى المنتجع؟ كلهم؟ سألته ثانية بفضول، كل هؤلاء المجرمين قادمين من أمريكا؟ هز رأسه موافقًا. "رائع!" قالت إلزى، وصمتت. حوم طائر العقعق ودار دورة ثم ابتعد. سألته هل قام هو شخصيًا بقتل الكثيرين، فهز رأسه بالإيجاب، قالت "مثير، شهواني!" اقتربت الشمس من المغيب. جفاف شديد، كل شيء جاف هنا فى وادى الفوضى، قال جو. يجب ألا يشعل أحد النار، قالت إلزى. ربما يحدث ذلك، رد عليها. حوم طائر العقعق ثانية، ودار دورة ثم ابتعد. سألها إن كان يمكنه التحدث مع أبيها. "بالطبع" أكدت إلزى. شربت من مياه النبع، وصعدا سويًا الهضبة فى طريقهما إلى القرية. كانت شجرة عيد الميلاد بكامل زينتها عندما دخلا غرفة الاستقبال. من هذا الرجل الذى أحضرته معك، سألها العمدة مرتابًا. إنه جيمى، ردت إلزى، يريد أن يعتذر عن اللبن المدلوق. لم يفهم العمدة ماذا تقصد. جيمى هو الرجل الذى قام باغتصابها، قالت إلزى. إنه قادم من أمريكا. ابتلع العمدة ريقه، ضم قبضتيه، وهو يلعن "القحبة، الوسخة، اللعنة على

هذه الأيام الخرا" "أبى!" قالت إلزى مستنكرة. رد عليه جو ماريجوانا:

"القواد، الملعون، الديوس" "جيمى" قالت إلزى وهى تخبط برجليها على الأرض كالأطفال. "الحلوة المدللة الشهية" قال العمدة مستسلمًا. " إلزى ما دى دا، أومى ما، سى دى أو" قال جو ماريجوانا وهو يضحك بسخرية. تسائل العمدة متعجبًا، لماذا يقلد طريقة إلزى فى الحديث. إنه واحد منهم، أجاب جو ماريجوانا، إنه القس بريتاندر، لقد أهملوا منزل القس، ليال بطولها قضاها الشتاء الماضى فى ذلك المنزل المتداعى. ليس هذا الشتاء، قال العمدة، فقد كان ذات مرة فى غرفة إلزى. سأعد لكم بعض القهوة، قالت إلزى وانصرفت إلى المطبخ. لقد تغير تغيرًا شديدًا، لو أنه هو فعلاً القس بريتاندر سيب، قال العمدة. ما زال يتذكر، كيف ترك سيب القرية منذ خمسة عشر عامًا. ما زال يتذكر هو أيضًا، قال جو ماريجوانا، كيف كان العمدة رجلاً شقيًا. هرش العمدة رأسه قائلاً أنه من المستحيل أن يتعرف عليه. لن يستطيع أى شخص ذلك، علق جو ماريجوانا. هذا هو تأثير المهنة. "عمل طيب؟" سأله العمدة "قاتل محترف" رد جو ماريجوانا بحيادية، مهنته أن يقتل السفلة والأوغاد. قطب العمدة جبهته قائلاً، أن هذه ليست مهنة. فى أمريكا نعم، قال جو ماريجوانا. وهل هى مهنة مربحة؟ تسائل العمدة متعجبًا. مربحة جدًا، لحد لا يصدق، أكد جو ماريجوانا. هناك شىء آخر: عجيزته. صمت مندهشًا لم يعلق. ماذا يقصد بذلك، سأله العمدة. "أنظر! إلق نظرة" قال جو ماريجوانا وأسدل بنطاله إلى أسفل "رحمتك يا رب" صاح العمدة مفزوعًا، إنها عضة غائرة، وانشرحت أساريره، مانى بالتأكيد هو الذى فعل ذلك.

كان بالفعل مانى، قال جو ماريجوانا، ورفع البنطال إلى أعلى. لكن مانى قد عض فانتسنريد، قال العمدة. كلب فون كوكسن الدوبرمان هو الذى عض فانتسنريد، قال جو ماريجوانا، وقص القصة كلها. "الكلب، السافل، سمسار الفن" زمجر العمدة، لقد خدعه وأساء إلى سمعة مانى، وتساءل: من إذن، بحق الشيطان قد تدحرج مع إلزى فى اللبن؟ جيمى، أجاب جو ماريجوانا. لكنك أنت جيمى، قال العمدة. لقد قاموا بإجراء عملية فى وجهى، قال جو ماريجوانا، ولحسن حظى، عندما جاء وفد الحكومة، لم يفتشوا المطبخ، فقد كنت راقدًا هناك تحت تأثير التخدير الكلى. وعندما أفقت، تأملت الوجه الجديد، ورأيت وجهًا مختلفًا تمامًا، ليس كما تعتقد إلزى أنه وجه جيمى الفحل، الذى تدحرجت معه فى اللبن، لكنه وجه الرجل الذى عضه الكلب، والذى يدعى جو ماريجوانا، ولأن إلزى تعتقد أنه جيمى، فسوف يظل جيمى من أجلها، إنه يعترف بذلك كله للعمدة، حتى يتأكد أن قصده جاد. "لحظة واحدة" اندفع العمدة قائلاً، من إذن هو الذى كان فى غرفة إلزى، جو ماريجوانا أم جيمى الفحل؟ إذا كان لكما نفس الوجه؟ لا يهم، قال جو ماريجوانا، المهم، أنه مستعد أن يتزوج من إلزى. المهم، أن تكون بريتاندر، قال العمدة. إن كانت إلزى ترغب فى ذلك؟ عندما ننتهى من كل شىء، عليك أن تسألها هى، قال جو ماريجوانا، عنده اقتراح. بخصوص ماذا؟ سأله العمدة. بخصوص هؤلاء الذين فى المنتجع، أجاب جو ماريجوانا. إنهم جميعهم الآن فى المصيدة، هو أيضًا. قبل أن يأتى إلى هنا، كان عليه أن يقتل رجلاً فى غرفة بهدسون، يعتقد أنه رئيسه، لكنه ربما لم يكن رئيسه، بل أحد الذين

أجزيت لهم أيضًا عمليات فى وجوههم، وذلك حتى يعتقد أنـــه قتـــل رئيسه ووضعه فى مدخنة المدفأة. أخبره العمدة أنه لا يفهم شيئًا. لـــم يعد يفهم شيئًا هو الآخر، أكد جو ماريجوانا. أنه رجل شهير بالفعـــل، كذلك جيمى الفحل. وبعد أن غيروا وجهه بوجه جيمى الفحل، صـــار هناك الآن اثنان جيمى فحل. فى حقيقة الأمر، لم يعد له وجـــود الآن، جو ماريجوانا أو بريتاندر سيب. فعلاً، أكد العمدة. إذن، على العمـــدة أن يفهم اندهاشه وقتها من ضرورة إجراء العملية، وأن يجعلوا مـــن وجهه نسخة أخرى من وجه جيمى الفحل، قال جـــو ماريجوانـــا. لا يمكن أن يوجد اثنان جيمى فحل، بل واحد فقط. هذا منطقـــى، قـــال العمدة معلقًا. لو قتل جيمى فحل، يظل هناك جيمى فحل آخـــر. هـــذا معقد، قال العمدة. قال جو ماريجوانا، أنه متأكد، أنهم حولـــوه إلـــى جيمى فحل بهدف التخلص منه، وليس من جيمى الفحل، وقد تخلصوا بالفعل من جو ماريجوانا عن طريق إجراء العملية. من أجل ذلك جاء إليه، بريتاندر إلى بريتاندر، وعلى العمدة أن يساعده، وهكذا يـــساعد القرية أيضًا. عادت إلزى بالقهوة.

كان يجلس منقبض الصدر فى الكنيسة، يراقـــب النجـــوم وهـــى تتلألأ من السقف المتهدم، وسرعان ما تغطيها السحب. كان المكـــان مضاء بلمبة عارية لا غير. وكان حائط المذبح منهارًا. خلفه يتـــدلى حبل من برج الكنيسة إلى أسفل. تسلق العمدة بقايا الحائط وابتدأ فـــى شد الحبل، فسمع صوت الناقوس آتيًا من البرج ضـــعيفًا، فقـــد كـــان ناقوس المطافئ. تدفقت الجموع زاحفة من البيوت إلى الكنيسة. صعد جو ماريجوانا على منبر القداس، قفز على السلالم بساق واحدة، تبعها

بالساق الأخرى، ثم بالاثنتين مرة واحدة، اعتدل فى وقفته. امتلأت الكنيسة تدريجيًا بأهل القرية. كان المكان مظلمًا، لدرجة تصعب فيها رؤية كل منهم للآخر. جاء صوت جو ماريجوانا كما لو أنه آت من السماء، كان الموقف رهيبًا، زاد من رهبته هبوب العاصفة التى أخذت تشتد بالتدريج، وتلقى بضوء اللمبة المتأرجحة على وجهه، تبتعد فيختفى وجهه، يظهر ويختفى، يظهر ويختفى، استمر الوضع على هذه الحال طوال الموعظة. كثيرًا ما استمع أهل القرية المتجمعين هنا الآن إلى موعظات أبيه، هؤلاء المنحشرين فى الكنيسة الضيقة نصف المسقوفة، كما لو أن العاصفة الشديدة قد ضغطتهم إلى بعض. كان أبوه ايمانويل بريتاندر قسيس القرية منذ زمن ولى، كان يلقى كل عام فى نفس الميعاد، موعظة ليلة عيد ميلاد المسيح، هنا بنفس المكان، على نفس المنبر، حيث يقف الآن فى هذه اللحظة ابنه ستيب، وبدلاً من ركام الطوب والأسمنت، كانت تنتصب شجرة عيد الميلاد، مزينة بالتفاح والكريات الملونة والشموع الكثيرة. وكان أبوه يلقى عليهم موعظة عيد الميلاد: أنصتوا إلى، أزف إليكم نبأ مفرحًا، فى هذه الليلة المقدسة، التى ولد فيها المسيح المقدس، أربعون عامًا بطولها ظل يلقى عليهم تلك الموعظة، فى هذه القرية المهملة المنسية، بأقل أجر أخذه قسيس فى المقاطعة كلها، وماذا كانت النتيجة؟ هل أفاد ذلك بشىء؟ أكثر سهولة أن توقظ الموتى، عن أن توقظ هؤلاء الذين يملأون الكنيسة بكسلهم وبلادتهم ورخاوتهم. لقد انهارت الكنيسة، وانهار بيت القسيس، مسقط رأسه، وها هى القرية بأكملها فى طريقها للانهيار، فلم تعد قادرة على أن تمتلك شجرة عيد الميلاد. عندما أنظر إليكم، وأنتم هناك بالأسفل فى هذا الضوء الكئيب، أرى رؤوسكم

كرؤوس القرنبيط وهى تملأ الحقل. هناك بالأسفل، حيث يلتصق كل منكم بالآخر، جسدًا على جسد، رجال ونساء، يتصبب منكم العرق فى الهواء الساخن الذى يهب مع العاصفة. كانوا يستمعون لما يقول وسط موجات متقطعة من الصخب والبكاء والنواح والعويل، كما لم يستمعوا من قبل. فالمتحدث إليهم هو واحد منهم. القس العجوز بريتاندر سيب وما قاله سيب هو الحقيقة بعينها، والحقيقة مؤلمة، حارقة، أكثر من نار جهنم. يودون أن يطردوا سيب من على المنبر، أن يضربوه، أن يشنقوه، لكن الحق كل الحق معه، فهم بالفعل كسالى، بلداء، يعلوهم الصدأ. ذات يوم، كانوا رجالاً مدهشين، قالها وهو على المنبر المتداعى. لقد أبادوا النمساويين والألمان وكارل الجسور، قطعوهم قطعًا، فصلوا رؤوسهم، ووضعوها على الأسياخ، وغنوا حولهم الأغانى الشعبية. لم يودعوهم السجن، بل ألقوا بأعدائهم دفعة واحدة فى العالم الآخر، أمثال بوربون الصغير، وجيمس الضئيل، وبيل مينيسوتا، وعصابة أولشوفسكى، دفعة واحدة فى العالم الآخر، رغم أنه يشك فى أن الملائكة ستحلق حولهم. كانوا أشرارًا قتلة، لكنه كان يقدرهم أكثر بكثير من أمثالكم الذين هم فى الحضيض، هؤلاء السفلة أبناء الشيطان، كانت حياتهم كلها مقامرات وسرقات ودعارة، كانت حياتهم دائمًا فى خطر، ينتظرهم الكرسى الكهربى فى أى لحظة، بينما أنتم هناك فى الأسفل تعانون من البؤس والشقاء طوال حياتكم التعسة. ليس الموضوع هو كلب بريتاندر، سيان، يعيش أو يموت، كما أن الموضوع ليس عذرية إلزى، أن تفقد وسط اللبن المدلوق أو لا تفقد، فلا فرق، فلقد كانت ستفقدها فى القريب العاجل على أية حال، كما أن الموضوع ليس العمدة، لقد تأخر فى تقديم

شكواه، ولم يصل إلى نتيجة، الموضوع هو الشرف، أن يعرف الآخرون أنه يوجد فى رؤوس أهل هذه القرية شىء آخر غير القش، الموضوع هو الكرامة، أن يثبتوا أنهم قوم عنيدون، لا يمكن الضحك عليهم، والسخرية منهم، والاستهزاء بهم على طول الخط. عليكم أن تفكروا بحق السماء!!

لماذا يتظاهرون كما لو أن المنتجع خاويًا لا أحد فيه؟ وهم يعلمون أنه ملىء بالرجال. ومن هم هؤلاء الرجال؟ لابد وأن يأتى إليهم أحد مثله، الذى أجهز على عائلة بيبيروزى دفعة واحدة بمدفعه الرشاش، حتى يحرك عقولهم وتعرجات أمخاخهم التى صدئت من عدم الاستعمال كموتور قديم. طوال فصل الشتاء، يكون المنتجع مليئًا بالقتلة واللصوص، والقوادون، وتجار المخدرات، الذين يشكلون القاعدة الشعبية للعصابات، بالإضافة إلى القادة الكبار أمثال جيمى الفحل، جو ماريجوانا، لينكولن السمين، بيبى هاكمان، شارلى بوتوماك، ستة عشر اسمًا يمكن أن يتهجى حروف أسماءهم، أسماء مشهورة، لها رنين سماوى فى آذان رجال الشرطة، وهم مطمئنون تمامًا، يقضون الشتاء فى المنتجع، يمارسون ألعابهم فى المطبخ، ويغيرون وجوههم الشيطانية إلى وجوه ملائكية. لو أنهم هناك فى الأسفل، يمتلكون رؤوسًا أخرى غير رؤوس القرنبيط تلك، لصار المنتجع فى هذه الليلة المباركة هو شجرة عيد الميلاد المجيد، التى عليهم أن يشعلوها، كأفخم شىء فى هذا الوادى الكئيب، احتفالاً بعيد ميلاد المسيح. كان الحاضرون يتصببون عرقًا، بينما سيب برنارد يواصل القاء موعظته بحماس من على المنبر، وكان صوت العاصفة

بديلاً عن موسيقى الأرغن، ابتدأت عقولهم تستجيب ببطء وتفهم تدريجيًا، وتتخلص من تراخيها وكسلها وتلقى به بعيدًا. لقد أفسد المنتجع حياة أجدادهم وأجداد أجدادهم، كما أفسد حياة آباءهم وحياتهم وحياة أولادهم وأولاد أولادهم. ذات يوم، منذ زمن ولى، طردوا الغرباء من هذا البلد بالعصى والحجارة، واليوم يتعيشون على ما يجود به الغرباء، البلد كلها بطولها وعرضها تتسول، تعيش على التسول، منذ أن عشش الفقر وانتصر فى المنتجع، على يد مجموعة من كبار الأثرياء. والآن، وهم فى هذا الوضع التعس، ترى ماذا هم فاعلون؟ هؤلاء التعساء العجزة. كما لو أنهم خونة للوطن، يخفون الروس وينسترون عليهم. جاءوا بالجيش، يقوده ممثل الحكومة كحاكم للقرية، يتجول فيها كيفما يشاء، هو وجنوده، يفتشون منازل القرية جميعها، حتى التلفزيون لم يدخل القرية حتى الآن، كباقى مقاطعات الوطن. لقد نالهم ما يستحقون، كل ما حدث فى قريتهم يستحقونه، فهم لم يدافعوا عن أنفسهم، ولم ينتقموا من ممثل الحكومة. لقد خجلوا أن يفعلوا ذلك، ومع الخجل يأتى الغضب، ومع الغضب يأتى الكبرياء. لقد أحسوا أنهم وحدة واحدة، شعب واحد، أكثر من شعب، شعب يمتد فى التاريخ، قرية وادى الفوضى تخصهم، هم الذين يأمرون فيها، إنهم هم أنفسهم منذ قرون، منذ آلاف السنين، منذ بداية العالم، لم تصبهم رخاوة أهل العاصمة. لو أن المنتجع قد احترق، فلن يهتم بذلك أحد، قال سيب بريتاندر، حتى الشرطة لن تهتم بالبحث عن السبب، ولا عن التأمين، بل سينبشون فى الرماد وبقايا الحريق، وماذا سوف يجدون؟ البقايا المتفحمة من السفاحين القتلة لينكولن السمين، وشارلى

بونوماك، وبراندى المقدس، وجيمى الفحل، وجو ماريجوانا، وبقايا جهابذة الإجرام. هذا كثير، ولا يخلو من خطورة بالنسبة لرجال السياسة ورجال القانون، فقد أصابهم من رذاذ المنتجع ما يكفى، فهم يعرفون بالتفصيل كل ما يدور هناك، والشرطة لا تريد أن تقف موقف المتفرج. فجأة توقفت العاصفة. استقرت اللمبة المتدلية فى قاعة الكنيسة. أصبح بإمكانهم رؤية وجوه بعضهم البعض، وهى تتصبب عرقًا. غمرت الجميع نشوة زائدة بالفرح، يجب أن نضع حدًا لهذا المنتجع، أن ندمره، أن نحرقه، ما كاد سيب بريتاندر ينهى موعظته "آمين، هلليلويا، هوسيانا" حتى انهار المنبر وسقط على رؤوسهم، فحملوه على أعناقهم كملك إلى مقر المطافئ، قام جميع العاملين بالحانات والمقاهى "السويسرية" و"سلخانة مورجارتن" و"الجنرال جويزان" و"عند الأيائل" و"الصخور المدببة"، قام جميع العاملين بدحرجة براميل النبيذ الفارغة إلى الجراج، وملئوها بالبنزين، ودق ناقوس الهجوم.

هوة عميقة كانت تفصل بين المنتجع وبين الغابة فى وادى الفوضى، يجرى فيها جدول مياه صغير يفصل القرية عن المنتجع. على الناحية الأخرى للهوة، كان ميكائيل يقف فى شارع مترب تحت شجرة صنوبر، ناظرًا فى اتجاه المنتجع، يراقب ما يحدث. سمع صوت الناقوس يقرع ثم يتوقف. أطفئت أضواء القرية. مرت ساعة من الزمن. يقع المنتجع على الناحية الأخرى من تلك الهوة، كتلة داكنة مصمتة ببرجيه الاثنين، دون نتوء للخارج، ودون أى مظهر من مظاهر احتفال عيد الميلاد. اقتربت الساعة من الحادية عشرا

مساءً. أصوات تأتى من بعيد، كتلة داكنة تندفع آتية من أسفل الوادى، صاعدة فى اتجاه المنتجع. تتكاثر النجوم وتتلألأ. تتكشف سكة التبانة الرائعة. يسمع صوت ناظر المدرسة وهو ينشد: "مرة ثانية، تتحقق رغبة النجوم: الشرط والقانون، كل الرغبات تجمعت فى إرادة واحدة، لأنه يجب علينا فعل ذلك" كلام سخيف، بالنسبة لما يراه ميكائيل يحدث أمامه: فى ضوء النجوم المتلألئة، تندفع عربة المطافئ، تفرد الخراطيم وتجهز، وتثبت فى حنفيات المياه، يتم كل ذلك بهدوء بالغ وفى صمت، فقط ظلال تتحرك هنا وهناك.

وعلى عكس احتفال أهل القرية الحزين بلا شجرة عيد ميلاد فى قاعة الكنيسة، تصدرت قاعة المنتجع شجرة عيد ميلاد ضخمة، تكاد أن تقع من ثقل الزينات التى علقت عليها. لم تكن مزينة بالزينات الشائعة بين باقى الخلق، بل كانت مزينة بالمسدسات والرشاشات التى ثبتت فيها الشمعات المشتعلة، وقام بيبى هاكمان بتعليق بعض القنابل اليدوية بدلاً من الكريات الزجاجية الملونة. كان يجلس حول الشجرة فى المقاعد الوثيرة وعلى الأرائك الجلدية المريحة كل من فون كوكسن، وأوسكار وادجار، ورجالات نياجارا، والوردة الحمراء وشارلى بوتوماك فى انتظار موسى ميلكر، الذى انسحب منذ فترة ليلعب البوكر فى الصالون. كان الجو كئيبًا ومشحونًا بالخطر. وكانت القاعة ممتلئة بالدخان، الكل يدخن بعصبية، لم يجرؤ فانتسنريد أن يفتح النوافذ للتهوية، فقريبًا سوف ينشد فرونتن، سوف ينشد من أشعار جوته. حتى الآن، لم يقابل جيمى الفحل جو ماريجوانا بعد، كذلك اختفى دوك الطبيب. كان بيبى هاكمان متأكدًا أن موسى ميلكر

أحد جواسيس مجلس الإدارة، وأنه قد باعهم للأب الكبير، وأنـــه قــد حان الوقت لتشكيل مجلس إدارة جديد، فمنذ فترة وهو يتـــساءل عـــن جدوى هذا المنتجع، ولماذا يقوم هذا الطبيب بإجراء تلك العمليات، لقد عمل الكثير من أجل جو ماريجوانا، والآن يأتى الدور علـــى طـــائر آلاسكا فيغرفة الغسيل. لم يكن الجميع سيء النية مثل هاكمـــان، بـــل كانوا يعتقدون أن موسى ميلكر قد أتى برسالة سرية من الأب الكبير، سوف يضطره فون كوكسن بالإعلان عنها فى موعظة عيد المـــيلاد المجيد، والكشف عن خطط الأب الكبير. اعتقد الكونت أنه قد أخطـــأ مرة أخرى، كان عليه أن يتحدث بالتليفون مع زيوريخ، لكن شـــارع مينرفا ٣٣ لم يرد، بل جاءه صوت يقول، أن الـــرقم خـــارج نطـــاق الخدمة، فكلف صديقًا له صاحب جاليرى آخر فى زيـــوريخ، فـــذهب إلى شارع مينرفا، ثم عاد وطلبه ليخبره أن هذا الرقم غيـــر موجـــود أصلاً. وأخيرًا جاء موسى ميلكر، وقف خلف الفوتيل، وضـــع يديـــه على مسنده، تأمل المجموعة فردًا فردًا، رمش بعينيه تحت حواجبـــه الكثة، وابتسم بشفتيه المكتنزتين. فى موسم الصيف، كثيرًا مـــا كـــان ينتابه بعد موعظة الصباح، شعور غريب معتم، يزعجه كثيرًا ويثيـــر مخاوفه وقلقه، وينعكس بدوره على مستمعيه من الأرامل الثريـــات، ومديرى مجالس الإدارات وأصحاب الشركات المتعددة الجنسية...إلخ مفسدًا عليهم فرحة الفقر ومتعته، أما هذه المرة فيبدو رجلاً آخر، يشع مرحًا وبهجة، إنسانًا بسيطًا فرحًا، مشتاقًا لأن يؤدى رسالته

"لا تخافوا، انظروا، جئت ومعى فرحة كبرى، بـــشرى لجمـــوع البشر، تقول رسالة عيد الميلاد المجيد، الآية العاشرة من السفر الثانى

من إنجيل لوقا، جموع البشر، يعنى أنتم أيضًا، أنتم أيضًا تتـــدرجون تحت جموع البشر، أنتم السفاحون، المجرمون، القتلة، واســـتمر فـــى تعديد أوصافهم دون اعتبار لما يمكن أن تسبب لهم هذه الموعظة من صدمة، فهم يرون فى أنفسهم أنهم رجال أعمال، يـــستخدمون طرقـــا غير تقليدية، هذا كل ما فى الأمر.

وحده، ابتسم فون كوكسن، لقد قال موسى ميلكر، ما لـــم يجـــرؤ الكونت نفسه على قوله، وسمى حثالة البشر هؤلاء بأسمائهم.

"ولماذا الفرحة؟ لأن الأب الكبير مد يده الجبارة فى العدم، مـــن ناقص ٢٧٣ درجة تحت الصفر، من العدم وخلقكم"

كان موسى فخورًا بتماسكه وتوازنه، بينمـــا شـــارلى بوتومـــاك يعتقد، أنه ربما يخطط الأب الكبير لشىء جديد فى آلاسكا.

"فعندما يدخل الفقراء والجوعى الجنة - واصل موسى موعظتـــه - فلأن الأب الكبير يشفق على الفقراء والمـــساكين، أمـــا الأغنيـــاء، فيدخلهم الجنة إمعانًا فى كرمه، لذلك كونوا أنـــتم الوحيـــدون الـــذين تستحقون الجنة، كونوا أصدقاءه، دعوه يفخر بكم، أنتم أغنية الـــشكر التى سوف يترنم بها"

المرة الأولى التى يمنحنا فيها الأب الكبير هدية عيد الميلاد، فكر لينكولن السمين مبتهجًا.

"ليس سمو العقل البشرى - واصل موسى - ولا الأفكار النبيلة، هى التى يرى فيها الأب الكبير نفسه، فهو يمكنـــه أن يـــصل إليهـــا بنفسه، لكنه يرى نفسه فيكم، فيكم أنتم، أنتم المجرمون، حثالة البـــشر.

إنه يحبكم كما أنتم، مثلما تحبونه كما هو. هو للفقراء وللأغنياء، كذلك لأصحاب الحقوق، وللذين يتهربون من الضرائب، ويغسلون الأموال، ويزورون الحقائق، ويمارسون السياسة فى ظروف صعبة واستثنائية، هو دائمًا هناك، العجوز الطيب العزيز، الذى يغــض النظــر، لكنــه بالنسبة لكم هو الرئيس الذى لا يرحم. غضبه شديد حــارق، شــفتاه قاسيتان ولسانه نار حامية".

كنت أعرف ذلك، فكر بيل مينيسوتا، كان بيل هاكمان متهــورًا دائمًا، يبدو أن هذه هى آخر ليلة بالنسبة له.

"ما جاء الأب الكبير ليلقى سلامًا، بل سيفًا. هو، الذى يلتهم كــل ما خلقه من نباتات وحيوانات وبشر، يطلق العواصف والأعاصــير، ويأمر الزلازل أن تتحرك" قال موسى صارخًا "اختــاركم كــأدوات وأمركم بأن تبيدوا الكنعانيين والحيثيين والفريشيين والأرمن".

يا إلهى، فكر بيبى هاكمان، ترى كم عدد مجالس الإدارات الآن، وفكر براندى المقدس، ربما ينوى الأب الكبير أن يدخل سوق تجــارة السلاح.

واصل موسى ميلكر حديثه دون توقف، كما لو أنه بركان مكتوم وانفجر، ممزقًا فى طريقه كل شىء، ناسفًا مقدسات الثراء والأثرياء، محولاً إياها إلى رماد، تناثر بعضه عليه فلوثه، لكنه ظل به مــسحة من دين.

"عندما يكون الفقراء كسالى لحد أنهم لا يودون أن يكونوا أغنياء عن طريق الجرائم الشريفة – واصل موسى موعظته – والأغنياء فى

عطلتهم، يتناولون الفقر فى أطباق من صفيح، حتى يتمكنوا من أن ينفذوا من سم إبرة الرحمة والبركات، تكون المسيحية أجرهم. تعاملوا معها، كما أتعامل معها، مسيحية شخصية عائلية. إننى واحد منكم، ليس قسيس الأثرياء، بل قسيس المجرمين، وهكذا لا يمكن أن يكون الأب الكبير إلا مجرم هو الآخر. زوجتى الأولى أجهزت عليها بشجرة صنوبر، وزوجتى الثانية ألقيتها فى نهر النيل، والأحد الماضى حشوت زوجتى الثالثة بالشوكولاتة حتى ماتت. وباسم الأب الكبير، كن ثلاثتهن ثريات، حتى أننى اقترنت بهن، وكن ثلاثتهن طيبات، حتى أننى قتلتهن بمنتهى السهولة"

منذ فترة لم يعد أحد يستمع إليه. قاموا بتهريب طائر آلاسكا من غرفة الغسيل عن طريق السرداب السرى تحت الأرض. كان الرباط يغطى وجهه كله، ما عدا عينيه، ذهب وألقى بنفسه على الأريكة. لقد سمع من بعيد: الحيثيين والكنعانيين.

الآن تبدأ حرب العصابات، قال لنفسه طائر آلاسكا. راود الشك جيمى الفحل، فنزع الرباط من على وجه طائر آلاسكا، الذى نظر إلى جيمى الفحل واستغرق فى النوم.

"فعلاً" قال بيبى هاكمان "جو ماريجوانا يشبهك تمامًا يا جيمى"

"هذا ليس جو ماريجوانا" قال جيمى الفحل معتدلاً فى مقعده "إنه طائر آلاسكا، الآن هناك ثلاثة جيمى فحل" قفز واقفًا بعنف، مما أدى بالمقعد لأن ينقلب.

"دوك دوك، أين الطبيب؟" نادى جيمى الفحل صارخًا "لم أره منذ

فترة طويلة، إنه يجعل الجميع يشبهوننى، مجلس إدارة بأكمله كلهم أنا جيمى الفحل. لماذا؟ ربما من أجل حل المجلس! من الذى أمره بذلك؟ الأب الكبير؟ ومن يكون هذا الأب الكبير؟ لا أحد يعرف كيف يبدو، لم يره أحد، وهل هو موجود أصلاً؟ على الأقل يوجد إنسان نياندرتال ذو الشعر المجعد، إنه مجرد هاو، وبالأب الكبير لم يكن يقصد سوى الرب".

هب الجميع واقفين، تناول البعض الأسلحة من على شجرة عيد الميلاد، وأمسك البعض الآخر بموسى ميلكر، كان بيبى هاكمان أول من أمسك به، الآن يضغط على رقبته، فى نفس اللحظة التى وجدوا برميل نبيذ يتدحرج من بوابة المنتجع داخل القاعة، وعندما أدرك جيمى الفحل حقيقة ما يحدث، اندفع خارجًا من البوابة، متجنبًا البرميل الثانى الذى يتدحرج خلف الأول، تسمر أمام البوابة فى مواجهة نفسه، جو ماريجوانا مصوبًا مسدسًا تجاهه بيد مهزوزة، وبنظرة كلها كراهية، وفجأة دوى الانفجار خلف ظهره، فانبطح مع صورته المطابقة على الأرض، فى نفس اللحظة التى أحس فيها، وهو منبطح على جو ماريجوانا، بأسنان تنغرز فى مؤخرته بغل ورغبة فى الانتقام، بينما تطاولت ألسنة اللهب وابتلعته هو وجو ماريجوانا، وإذا بصوت العمدة يأتى من بعيد "اتركه يا مانى، مانى اتركه! عندما أرى الكلب يعض أحدًا مرة أخرى، أتذكر ما حدث وانزعج". انعكست الأضواء الباهرة على السيارات التى تتدافع منها البراميل متدحرجة، يجرى خلفها رجال المطافئ فى زيهم الأحمر الأسود الأجرب بخوذاتهم النحاسية، يصيحون بإيقاع منتظم، انفجار هائل هز الليل هزًا، تتبعه انفجارات عديدة، يندفع الشرر فى اتجاه السماء،

فيغطى على ضوء النجوم، اشتعل المنتجع بأكمله والتهمه الحريق، كانت تحيطه موتورات مضخات المياه، والجرارات، والفلاحون أهل القرية، بأيديهم الفؤوس والشوكات والبلطات التى تستخدم فى قطع الأشجار، اندفع الكلب من البوابة وقد أمسكت به النيران، تقلب على الأرض عدة مرات، حاول بعض الرجال الخروج من البوابة، فقوبلوا بتيارات المياه القوية المندفعة من الخراطيم، فاضطروا إلى أن يتراجعوا للداخل، فى الداخل ما زالت الانفجارات مستمرة من مخزن السلاح، النسوة تساعدن بحماس كبير فى تشغيل المضخات، الأرملة هونجربولر تفرغ غضبها وغيظها من الخطابات التى لم يرد عليها، ورجال المطافئ يرشون ويرشون، كان تيار المياه المندفع قويًا، لدرجة أنه كان يلقى بالرجال كتلاً فوق بعضها البعض ثانية فى النار، تلونت الغابة والسماء بلون جهنم، حاول أحدهم أن يهرب، فخرج يجرى بملابسه المشتعلة، فقابله أحد الفلاحين بضربة فأس، ألقت به على الأرض، وهو ما زال مشتعلاً، ثلاثة فلاحون آخرون رفعوا الرجل المشتعل على شوكاتهم وهو يصرخ، وألقوا به ثانية فى نار المنتجع، ابتدأ المنتجع فى الانهيار، تفرق الفلاحون والفلاحات، اندفع الشرطى لوستنفايلر بسيارته الجيب وهو فى حالة سكر بين خلال بوابة المنتجع، التى سقطت فوق رأسه، فاجتذبه اللهب إلى السرداب تحت الأرض بمبنى الملحق، وخرج من الناحية الأخرى شعلة ملتهبة. الآن، ابتدأت الغابة فى الاشتعال، فقد كانت الأشجار فى حالة جفاف شديد نتيجة العاصفة الساخنة، فانتشرت النار بسهولة فى الغابة. تراجع الفلاحون للخلف. فى مكان ما خلف النيران أو داخل النيران، يسمع صوت ناظر المدرسة فرونتن منشدًا: "ها هو الشرر يتطاير

كرمال ذهبية تتناثر فى الجو، انظر: هناك فى الأعالى يشتعل الحائط الحجرى ويتوهج". وانهار البرج الغربى. فى أحد الممرات على سقف المنتجع، كان كل من فون كوكسن وأوسكار وادجار يطلبون النجدة. اندفعت النار من أسفل الممرات بالبرج الغربى. كان موسى ميلكر يجلس على الأرض فى ركن أحد الغرف، عاقدًا يديه على ركبتيه، وبجواره مخطوطته (ثمن النعمة) والساعة ذات المؤشر الواحد الواقف على يوم عيد ميلاده. أمامه طاولة حولها ثلاثة كراسى وخلفه النافذة. على المائدة، كيس بن .Kaffee-Oeteker Fr 10. 15 في ركن الغرفة المقابل يوجد كرسى هزاز، ما زال يتأرجح. شخص ما كان جالسًا عليه. كانت الغرفة العلوية التى لا سقف لها، مضيئة بشكل مبهر من نيران الشرفة المشتعلة. جاء موسى لتنفيذ الحكم، الذى لم يصدره أحد. ليس بخصوص جرائم القتل التى ارتكبها. لم تفرق النيران فى التهام ما يصادفها، فسوف تجهز فى النهاية على كل شىء. كان يهمه أن يبحث عن منطوق الحكم عليه هو شخصيًا وعلى الأب الكبير كذلك. ابتدأ ذلك الصراع أثناء إقامته فى ملجأ بعثة التبشير. ذهب إلى سانت كريشونا، مع صورة للرب الذى تخيله فى شبابه، حيث قام بتشكيله من جزء حالم وجزء واقعى، من أب كاثوليكى مجهول، تسلل ذات ليلة ربيعية بجوربه المرتوق إلى أمه البروتستانتية المجهولة، بالإضافة إلى أبويه اللذان تبنياه وقاما بتربيته، كانا يضربانه بإفراط، مما جعله يعتقد أن هذا الضرب كان بمثابة حماية كبيرة ورائعة له. انفجرت سيارة المطافئ، تزلزل البرج الشرقى. ثم جاءت الشهوة العارمة المكبوتة، والتى تفجرت فى موسى الشاب، والتى أعزاها إلى الرب: كانت شهوته الشخصية، ما هى إلا

انعكاس للشهوة التى لولاها ما كان قد خلق العالم، وربما قــد خلــق العالم، من أجل أن يرى نشوءه المتعدد اللامتناهى، كما يرى تدمير ما قد خلق. انهار المنتجع كلية، وانتهى معه فــون كوكــسن وأوســكار وادجار فى كتل النار المتساقطة. سمع موســى ميلكــر صــرخاتهم. الخلق وتدمير ما خلق كلحظة انتشاء. فى ملجــأ البعثــة التبــشيرية، تعرف موسى ميلكر على رب آخر، رب علم اللاهوت، بصفات مثل: الذى لا يموت، الخالد، القادر، القوى، الذى يحيط بكل شىء، ويعرف كل شىء، صفات ونعوت تدل كلها على الكمال والاكتمــال، لدرجــة تجعله غير قابل للتصور. البرج الشرقى وحده هو الذى تبقى. سقطت الشرفة المحترقة وهى تشتعل حتى تفحمت، بينما ابتدأت شرفة أعلــى البرج فى الاشتعال. كان موسى ميلكر جزءًا من شهوة الــرب، أمــا الآن فقد انفصل عنه. صار الرب مجرد فكرة. الكرسى الهــزاز مــا زال يتأرجح. لم يتبق فى وعى موسى ميلكر سوى قبحه وشهوته، لم يتبق سوى جهنم. اندفع لسان من اللهب بين موسى ميلكر والطاولــة ذات الثلاثة كراسى، اندفع إلى أعلى وأمسك بالسقف. بحــث موســى ميلكر عن إنسان، ابن الرب. مرة ثانية، يسخر منه علم اللاهوت: إنه يجعل من ابن الرب إنسانًا مثاليًا. لم يستبعد العاهرات والقوادين، بــل كان يستريح إليهم، ويستمع إلى قفشاتهم ونكــاتهم البذيئــة ويــضحك عليها، لم يؤخذ مأخذ الجد قط كإنسان، بل كإله يلعب دور البشر، كان إلهًا لا يسمح له بأن يختلط بالنساء. أدخنة سوداء تتصاعد من أرضية الغرفة، فلم تعد ترى الطاولة ولا الكراسى المحترقة. أصبح ابن الرب شيئًا مجردًا، أكثر تجريدًا مــن الأب، يــصنعون منــه لعبــة مــن الشوكولاتة على الصليب. "انزل!" صاح موسى ميلكر.

"الرب الذى يتركهم يقومون بصلبه، يمكنه أن يكون ممثلاً فى المسرح، فى أوبرآمارجاو أو فى هوليوود، فاللصان أكثر مصداقية منك، فهما بشر، سيقومون بصلبهما" حول موسى ميلكر، تسمع طقطقات وفرقعات وقرقعات وولولات وصراخ الفلاحين واللصوص. خلال كل تلك الأساطير وقصص العجائب، تعرف موسى ميلكر على شخص يهودى من غاليلى، ابن نجار، يرتدى خرقًا ممزقة، عارى القدمين، إنسان، إنسان يشبهه، سمين مثله، له شفتان غليظتان وشعر مجعد مثله، خطاء مثله، رغبته الجارفة للثراء، وخجله من طريق الجريمة الذى كان عليه أن يسلكه، حتى يصير غنيًا، سوف يقول له، لا تختلق لنفسك ربًا، حتى لا تحتاج لأن تختلق جهنم لنفسك. الإنسان يحتاج للإنسان وليس للرب، فالإنسان وحده هو القادر على فهمه. احترق الحائط بالنافذة، كبساط مشتعل من نار. لم ينزل من على الصليب، بل صار الرب ذى اللحية، الأب الكبير، هكذا حل موسى ميلكر انقسامه وانشطاره: موسى الفقير المسكين يخصه ملكوت السماء، وموسى الغنى من بركات الرب ونعمته. اقتحمت الأرامل صاحبات الملايين موسى ميلكر بعالمه اللاهوتى وأقنعنه بدلق أوانى البول، وطبخ وجبات غير شهية وأن يرتع معهن فى الفقر. تحولت الطاولة والكراسى الآن إلى كومة من الرماد يعلوها كيس البن. وعندما عرف هذا الصباح، كيف يساء استخدام (بيت الفقر)، وكيف اضطره الكونت أن يحتفل بعيد الميلاد المجيد مع هؤلاء المجرمين العتاة، وأنه فى حقيقة الأمر هو أيضًا مجرم، اتضح له سخف وعبثية علم لاهوته، وسخف وعبثية علم اللاهوت بشكل عام: إنه يخدع نفسه بنفسه، يقع فى فخ مصطلحاته، يعتقد أن الرب كامل والعالم غير

كامل، مفهوم تجريدى خالص، لا علاقة له بالحقيقة، وعندما وصـل إلى ذلك، وصل إلى أن رب شبابه كان أيضًا مجـرد فكـرة، الـرب الشهوانى، الرب الذى يحب ما يخلق ولا يعرف قيمته، خلقـه علـى سبيل المتعة الحرة، ومن أجل المتعة الحرة يدمره، مثل كل ما يخلقه، يخلقه ثم يدمره. ما زالت أرضية الغرفة متماسـكة، كـذلك مـا زال الكرسى الهزاز هناك، أحيانًا كان يهتز بشدة بتأثير اضطرام النار من حوله. تذكر موسى ميلكر لحظة المتعة التى عاشها مع الفتـاة تحـت شجرة الصفصاف على شاطئ جدول جرين، كانت لحظة توحد مـع متعة الرب، وكان كل شىء على ما يرام، الفقير والغنى والمجـرم، الخير والشر، كل ذلك انبثق فى لحظة خلق واحدة. فوقه كان البـرج يحترق، وتنطلق منه ألسنة اللهب، فكرة واحدة لا غير تسيطر عليـه، الأب الكبير، الفكرة، الخلق. لقد قرأ ذات مرة ما قالـه أحـد علمـاء الفيزياء، لو أن الحقيقة تكلمت، لما كانت فى شكل معادلات فيزيائية، بل ستغنى لنا أغنية للأطفال، وهكذا فكر، لو أن الرب أرانـا نفسـه، لكان شيئًا غير معقول، لا يصدق، مثل كيس الـبن Kaffee-Oeteker Fr. 10. 15.أو مثل الكرسى الهزاز، وعندما اخترقت النيران أرضية الغرفة ونفذت خلالها، أيقن موسى ميلكر أنه سوف يصيبه الجنـون، لو أن الرب كان من اختلاقه، عندئذ سيكون العالم أيضًا من اختلاقه، وجنبًا إلى جنب مع الرب الذى اختلقه والعالم الذى اختلقه هو، يوجـد أيضًا الآلهة الأخرى والعوالم الأخرى، التى اختلقها أنـاس آخـرون، العالم ينمو بشكل مستمر ويتراكم فى طبقات متداخلة حول مخ العالم، الذى يتكون بدوره من خلايا عصبية فى طبقات متداخلة، تتكون كـل واحدة منها من أنا واحدة، هذا الكون بمجراتـه المتعـددة وشموسـه

وكواكبه السيارة، التى يحتاجها لدفع عملية التطور فى مسارها، من الخلية الواحدة، إلى الخلية المتعددة، فالرخويات فالفقريات حتى تصل إلى الإنسان، الذى يتخيل الكون فى دوائر مدهشة حول رب واحد، رب له مئات من الرؤوس أو آلاف من الأقدام، رب له أنوف عديدة أو رب من خشب أو من ذهب، أو إلهة ذات أثداء عديدة، آلهة كثيرة مثل كواكب الكون، وسطهم الأب الكبير تبع موسى ميلكر، الذى يختلف فى مظهره عما تخيله مكتشفه، رب واحد يقولون عنه أنه خالد، يعيش فى العالم كله، الذى تخيله موسى ميلكر، وكل الآلهة والعوالم التى تخيلها الآخرون. وعندما وصل موسى ميلكر فى تفكيره لهذا الحد، ابتدأ فى الضحك. ثم احترق، واحترقت بجواره مخطوطة (ثمن النعمة) المهداة إلى سيسيلى ميلكر رويشلن، وانصهرت الساعة، واحترق الكرسى الهزاز، والبن، وسقط كل شىء فى القاع.

أمام بيت العمدة، يرقد الكلب، بينما تقف إلزى بجواره، تنظر إلى الغابة وهى تحترق، وإلى بقايا الحائط المشتعل على حافة الوادى، الذى يبتلع أهل القرية وما زال يبتلعهم. ابتسمت. عيد الميلاد، همست لنفسها. يثب من الفرحة، الطفل فى بطنها.

Neu Chatel, 19. 4. 89 Friedrich Durrenmatt
Cairo , El Haram 26. 11. 2004
Youssri Khamis
3. 2. 2005
3. 3.
27. 3.2005/ 16.5.2005

المؤلف فى سطور

فريدريش دورينمات Friedrich Dürrenmatt

(١٩٢١ – ١٩٩٠)

- من مواليد قرية كولونفنجن بإقليم ايمينتال الشهير بمنتجات الألبان بسويسرا.
- كان أبوه قس القرية.
- يعتبر من أهم كتاب المسرح على مستوى العالم فى القرن العشرين.
- كتب حوالى ١٨ مسرحية، أكثرها شهرة مسرحية (زيارة السيدة العجوز– ١٩٥٥) التى قدمت على أغلب مسارح العالم.
- ترجمت أغلب مسرحياته للعربية، وقدم العديد منها على خشبة المسرح المصرى.
- كما كتب العديد من الدراما الإذاعية.
- كتب ٩ روايات (منهما اثنان لم يكتملا) آخرها رواية (وادى الفوضى – ١٩٨٩).
- كتب العديد من القصص القصيرة.
- كتب العديد من الدراسات النقدية فى مجال المسرح والفلسفة.
- كما كتب كتابا للأطفال.
- لم يتوقف عن ممارسة الرسم طوال حياته.

المترجم فى سطور

يسرى خميس

- من مواليد قرية دنوشر.
- أحد مؤسسى جماعة (جاليرى ٦٨) الأدبية.
- له أربع مجموعات شعرية (قبل سقوط الأمطار ١٩٨٤، التمساح والوردة ١٩٩٣، طريق الحرير ٢٠٠٢، أساطير مائية ٢٠٠٣).
- ترجم العديد من الأدب الألمانى المعاصر، شعرًا وقصة.
- كما ترجم العديد من المسرح الألمانى المعاصر: (بريخت، دورينمات وآخرون) كان من أهمها تقديم (بيتر فايس) كأحد مؤسسى تيار "المسرح التسجيلى".
- كتب أعمالا درامية متعددة للطفل، أكثرها شهرة مسلسل (بوجى وطمطم) التيلفزيونى مع الكاتب شوقى خميس.
- منشغلا منذ سنوات مع الفنان هبة عنايت بانجاز أطلس (طيور بلاد العرب).

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد





هذه الرواية قد اختلف عليها النقاد اختلافًا شديدًا، فمنهم من يرى أنها رواية تعتمد على الرمز الذى يطرح فى شكل فكرة مجردة تطمح إلى تفسير أحداث واقعية، يعرض من خلالها فوضى العالم الذى نعيشه ، ومنهم من يرى أنها رواية إنشائية باستثناء بعض الصفحات الأخيرة ، ويرى كاتبها أنها رواية شديدة الأهمية ، وربما أهم ما كتب ، وأكثر ما كتب مرحًا، لكنها خبيثة فى مرحها، ويجب أن تقرأ ككوميديا وليس كتراجيديا.

غلاف : سديم صبرى